

أثر الثورة العربية الكبرى
في الشعر الأردني المعاصر

أثر الثورة العربية الكبرى في الشعر الأردني المعاصر (دراسة)

د. عماد الضمور (كاتب وناقد أردني)

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية الأردنية (3898 / 8 / 2015)

ISBN: 978-9957-698-31-7

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مُصنّفه ولا يعبر هذا المصنّف عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى، جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناسر بموجب عقد.
الطبعة الأولى 2018.

الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الجهة
الداعمة



الآن ناشرون وموزعون
ALAAN PUBLISHERS & DISTRIBUTORS



المدير العام: جعفر العقيلي General Manager: Jafar Al-Oqaily

شارع الملكة رانيا، بجانب صحيفة "الرأي"، عمارة البيجاوي، ط3

ص. ب 713680 عمّان 11171 الأردن

Queen Rania st. , near Alrai newspaper, AlBijawi building .3rd floor

Tel. +962 6 562 0722

Mob. +962 77 0 400194 | +962 79 716 27 20

E.mail: alaan.publish@gmail.com



alaan.publishing



alaan_publish

P.O. Box: 713680 Amman 11171 Jordan

www.alaanpublish.com

تصميم الغلاف: محمد خضير

د. عماد الضمور

**أثر الثورة العربية الكبرى
في الشعر الأردني المعاصر**

دراسة



إلى روح الشريف الحسين بن علي طيب الله ثراه
في الذكرى المئوية الأولى لانطلاقة الثورة العربية الكبرى
ثورة تتجدد لتسمو بنياناً شامخاً

أتوجه بالشكر الجزيل إلى جامعة البلقاء التطبيقية التي أتاح لي فرصة تأليف
هذا الكتاب أثناء إجازة التفرغ العلمي التي منحتني إياها خلال العام الدراسي
2015 / 2016 م.

مقدمة

جاءت فكرة هذا الكتاب بعد مضي مائة عام لانطلاقة الثورة العربية الكبرى، بوصفها أول محاولة وحدوية للأمة العربية في العصر الحديث، إذ انطلقت الرصاصة الأولى لهذه الثورة من الحجاز في العاشر من حزيران عام 1916م، الموافق التاسع من شعبان عام 1334هـ بعد مداولات عربية بدأت بها الجمعيات العربية منذ إعلان الحرب العالمية الأولى في تموز عام 1914م.

لم تكن الثورة العربية الكبرى حدثاً عادياً في حياة الأمة، بل نقطة تحوّل في تاريخها الحديث بعدما أطلقها الشريف الحسين بن علي - طيب الله ثراه - صرخة مدوية ضد الظلم والعدوان، إذ عكست قيادة الشريف الحسين بن علي وأنجاله البواسل لهذه الثورة - أو النهضة بمعناها الحقيقي - بداية مرحلة جديدة، ممّا جعلها تحمل مبادئ وقيماً سامية ومعاني أمدّت الروح القومية بالنشوة والقدرة على التحصّن من المخاطر الخارجية التي تتعرض لها الأمة، بعدما أبدعها فكر قائد ملهم، انحدر من بيت نسب عريق، جعل من الدعوة إلى الوحدة العربية مطلباً مهماً تقوم عليه ثورته؛ لإرساء قيم الحق والعدل، وبث روح التحدي والصمود في جسد الأمة.

تمتلك الثورة العربية الكبرى وهجاً واضحاً مصدره نبيل الرسالة التي تحملها، ونضال قادتها من أجل الأمة العربية، فهي تحمل شرعية الرسالة، وعظمة الإنجاز، وتعكس آفاقاً مستقبلية قابلة للامتداد الفكري والحضاري، لذلك حريّ بنا، وبعد مرور مائة عام على قيام الثورة العربية الكبرى تتبع أثرها في المنجز الشعري المعاصر في الأردن.

لم يكن الشعر في الأردن بمنأى عن هذا الأثر العظيم، إذ انحاز الشعر لقيم الوحدة والمساواة، والتحرر من الظلم والاستعمار، فضلاً عن دعوته للتمسك بالتراب

الوطني والدفاع عن مكوناته، لذلك جاءت ملامسة الثورة العربية الكبرى لجانب مهم من وجدان الشعراء في الأردن ترسيخاً واضحاً لتشظيات الثورة بفكرها وروحها في الشعر؛ لتبعث فيه طاقة حيّة ووهجاً فكرياً خصباً.

إنّ المقياس الذي يمكن الحكم من خلاله على الأعمال الأدبية هو الصدق، لا مجرد مماثلة التفاصيل، بل كذلك صدق المشاعر ومواكبة الإبداع للعصر، والقدرة على التأقلم مع متغيراته، ولا ننسى صدق الشخصيات الفاعلة في الأعمال الأدبية.

لذلك فإن دراسة حركة الشعر في الأردن لم تكن بمعزل عن امتداد فكر الثورة العربية الكبرى في موضوعات الشعر المختلفة، إذ منحته روحاً قوميّة، وإرثاً هاشميّاً، ودفقاً وجدانيّاً نابضاً بالحياة، والانتماء لمفردات التضحية والفداء.

يقع الكتاب في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة، عالج التمهيد فكر الثورة العربية الكبرى وأهدافها، فضلاً عن مبادئها التي قامت عليها، وانبعاثاتها في الحياة المعاصرة، إذ لا يمكن دراسة حركة الشعر المعاصر في الأردن دراسة فنية وموضوعية دون الحديث عن الثورة العربية الكبرى بوصفها نصّاً مؤسساً للإبداع المعاصر في كافة مجالاته.

جاء الفصل الأول للحديث عن الحركة الشعرية في الأردن (1921 - 1946م) الجذور والامتداد؛ لبيان الجذور الفكرية العميقة التي تأسست عليها الحركة الشعرية في الأردن.

أمّا الفصل الثاني فجاء دراسة لأثر الثورة العربية الكبرى في مضامين القصيدة الشعرية المعاصرة، وما أمدّت به الشعراء من رؤى فكرية لا تقوم على النظرية بل يرافقها التطبيق، إذ إنّ استعادة أسباب قيام الثورة العربية الكبرى يكشف عن معناها الحقيقي وجوهرها القومي، ومحتواها الوطني العميق، وتجلياتها في مواكب الثائرين الخالدين.

أمّا الفصل الثالث، فجاء دراسة فنية لأثر الثورة العربية الكبرى في القصائد

الشعرية التي استلهمت إرثها الخالد، إذ إن أهمية هذا الشعر تجاوزت أثر الثورة العربية الكبرى المباشر في المضامين الشعرية إلى أثر غير مباشر يتصل بالرؤى والأخيلة واللغة التي لازمت الشعراء في الأردن، وهم يستندون إلى إرث حضاري وفكر تنويري ينتشي بمنجز عظيم تحتاجه الأمة للخروج من أزمتها المعاصرة. وجاءت الخاتمة إجمالاً لأهم النتائج التي تم التوصل إليها، أتبعها بثبت لمصادر الكتاب ومراجعته التي اتكأ عليها. وبعد، فإن المكتبة العربية بحاجة إلى تتبع أثر الثورة العربية الكبرى في مسيرة الحياة المعاصرة، ورصد اتجاهاتها الفكرية الخصبة ذات الأثر الخالد.

والله ولي التوفيق

المؤلف

تمهيد

الثورة العربية الكبرى.. الأهداف والمنطلقات

جاء في المعجم الفلسفي أنّ «الثورة كلّ حركة تؤدي إلى تغيير جذري في المجتمع دون عنف أو قهر، فهي بمعنى ما ثورة، نقول: الثورة الصناعية، والثورة الثقافية، والثورة الاشتراكية، والثوري هو الاسم المنسوب إلى الثورة»⁽¹⁾

وفي القاموس السياسي: «الثورة عمل من أعمال العنف يتخذ صورة نضال مسلح يقوم به جانب من الشعب في وجه حكومتهم خروجاً على قوانينها، ممّا يعرقل ممارستها لسلطانها.. وكذلك يقوم بها قطاع من الشعب يمثل في كثير من الأحيان طبقة شعبية أو مقاطعة من إقليم الدولة ترغب في التخلص من الولاء والطاعة للحكومة الشرعية»⁽²⁾.

إنّ «الثوري ذلك المناضل الذي يعمل من أجل تغيير المجتمع والعالم تغييراً جذرياً بغية تحقيق العدالة الاجتماعية والحرية والتحرر الوطني والسلام العادل ومن أجل تحقيق مجتمع جديد وعالم جديد خالٍ من القهر والأعراف والتقاليد المتخلفة، مجتمع جديد فيه كلّ أنواع السياسات والثقافات والمسلمات والعلاقات

(1) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م، ص382.

(2) أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط3، دار النهضة، القاهرة، 1968م ص354.

التقليدية المتخلفة، الثوري الذي تتطابق مواقفه وسلوكه وأفكاره»⁽¹⁾.

وهذا يعني «أن الثورة تمثل أملاً وطموحاً وأشواقاً لدى الإنسان تتجه جميعها نحو المستقبل الذي يريده بديلاً عن الماضي الباهر الذي أفلت، أو الماضي الكئيب الذي كان، أو هما معاً، وهكذا تتحرك نفس الإنسان نحو مستقبل يراه مشرقاً، محققاً لجوهر وجوده، ولكرامته الإنسانية، والثورة خلق جديد، شرط لازم من شروطها، والثورة التي لا تبدع أطراً جديدة للحياة لا تكون ثورة بمعنى الكلمة»⁽²⁾.

لذلك فإن امتداد الثورة في الأجيال اللاحقة لها أمر ضروري لضمان استمراريتها واتصال الجماهير بها، متجاوبة مع الأحداث السياسية؛ لتربطها بالماضي القريب، فضلاً عن تصويرها للعواطف الإنسانية، وكشفها عن نتائجها الإبداعية، «الشعر الثوري لا يخلق شيئاً غير موجود، بل تكمن عبقريته في اكتشاف الموجود الكامن ... فالثورة تنقل الحلم من حدود الغيب الكامن في الواقع لتدفع به إلى مشارف حدود الواقع المرئي»⁽³⁾.

لم يكن مفهوم الأدب الثوري جديداً، وهو الذي يعبر في جوهره عن مفهوم الثورة في الأدب والالتزام المرتبط بها، وهذا ما تحدثت عنه الأدبيات الثورية الحديثة على وجه التحديد، وارتبط اسمه بالمقاومة في مرحلة تاريخية متقدمة،

(1) أحمد محمد عطية: البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة، ط 1، وزارة الثقافة والإرشاد السوري، دمشق، 1977 م، ص 2.

(2) عز الدين إسماعيل: الشعر بين الثورة والالتزام، بحث في كتاب الشعر والثورة، ط 1، منشورات وزارة الإعلام العراقية، 1975 م، ص 133.

(3) أيمن تعلب، قصيدة الثورة في الخطاب الشعري المعاصر (جدل الشعر والسلطة)، ط 1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2011 م، ص 93.

لا سيما في القضايا الكبيرة التي تنتج أدباً معبراً عن فكرها.

وتعدّ الكلمة سلاحاً يوازي البندقية إن لم تكن أخطر منها، وعلى ذلك فالأدب الثوري هو الأدب الملتزم بقضية سامية، والرافض للواقع بالكلمة التي تحشد الجموع، وتوحد الصفوف، وهو يقترب من مفهوم الالتزام الذي يتمثل في الموقف الذي يتخذه الأديب من قضايا مجتمعه؛ فلفظة الالتزام «نجد في مضامينها مشاركات واعية في القضايا الإنسانية الكبرى السياسية والاجتماعية والفكرية، وليس الأمر مقتصرًا على المشاركة في هذه القضايا، وإنما يقوم الالتزام في الدرجة الأولى على الموقف الذي يتخذه المفكر أو الأديب أو الفنان منها، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحًا وإخلاصًا وصدقًا واستعدادًا من المفكر الملتزم لأن يُحافظ على التزامه دائماً، ويتحمّل كامل التبعة التي تترتب على هذا الالتزام، من هنا كان الالتزام مرتبطًا بالعقيدة منبثقًا من شدة الإيمان بها، صادراً في جميع أشكاله وأحواله عن أيولوجية معينة يدين بها المفكر الملتزم»⁽¹⁾.

إنّ انطلاق الثورة العربية الكبرى في العاشر من حزيران عام 1916 م بهدف تحرير العرب من قوى الظلم والاستبداد التي سادت البلاد العربية أواخر الحكم العثماني، جاء متوافقاً مع حلم تحقيق دولة عربية موحدة بقيادة الشريف الحسين ابن علي - طيب الله ثراه - لذلك فالثورة العربية الكبرى ثورة قومية عربية إسلامية، تتعد عن الإقليمية الضيقة، تنتمي إلى عقيدة دينية راسخة في الأذهان، وتؤكد الولاء للعروبة، وأهمية الدفاع عنها.

هدفت الثورة العربية الكبرى إلى «تأسيس أوّل مملكة عربية مستقلة في العصر

(1) أحمد أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م،

الحديث في الحجاز وسوريا، وغرس الروح القومية وأفكار الحرية والثورة في نفوس العرب، وتدريب أبناء العرب على فنون الحرب وخاصة حرب العصابات، وتأسيس إمارة شرقي الأردن وحمل الأردن لرسالة الثورة العربية⁽¹⁾.

ويرى الدكتور ناصر الدين الأسد أن «الثورة، أية ثورة، نتاج عاملين أساسيين أولهما عمل يرتكبه الحكام الذين يثور عليهم الثائرون، وثانيهما شعور يعتلج في نفوس الثائرين، الأول: فساد في الحكم يستشري وظلم يُحقيق بالمحكومين، والثاني إحساس بما يضطرم حولهم من فساد، وبما ينزل بهم من ظلم، والأول وحده لا يكفي لقيام الثورة، ولذلك يظل يفعل فعله حتى يتنبه العامل الثاني في النفوس»⁽²⁾.

لذلك فإن أهداف الثورة العربية الكبرى لم تقتصر على «العمل لتحقيق وحدة العرب واستقلالهم، بل نراها تتجاوز ذلك إلى هدف عظيم آخر، ألا وهو نهوض العرب وعمران بلادهم وتقدمها، ورفيها في كافة مجالات العلم الحديث، بحيث تلحق أمة العرب بركب الحضارة المعاصرة، وتحقق لأبنائها الحياة الكريمة»⁽³⁾. وانطلاقاً من ذلك فإن الأردن قد «فتح أبوابه لكل المسلمين من جميع أنحاء الأقطار الإسلامية والتزاماً بمبدأ الثورة اللاطائفية فقد استقبل كل عربي بغض النظر عن عقيدته ومذهبه»⁽⁴⁾.

(1) حكمت عبد الكريم فريحات، الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة، ط 1، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 1990م، ص 211.

(2) نيقولا زيادة وآخرون، الثورة العربية الكبرى، ط 1، مشروع مكتبة الأسرة، وزارة الثقافة، 2011م، مقالة للدكتور ناصر الدين الأسد، بعنوان «مقالة الثورة والأدب»، ص 94.

(3) سليمان موسى، من تاريخنا الحديث (الثورة العربية الكبرى)، ط 1، مشروع مكتبة الأسرة، وزارة الثقافة، 2007، ص 78.

(4) حكمت عبد الكريم فريحات، الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة، ص 221.

واتخذ العرب من الشريف الهاشمي الحسين بن علي ملكاً عليهم، وقائداً لثورتهم، ففي الرابع من تشرين الثاني عام 1916م، حضر الشريف الحسين بن علي إلى الحرم «وجلس في مدرسة النجاح داخل الحرم ثم تليت المضبطة الموقعة من قبل العلماء بمبايعة الشريف حسين ملكاً على العرب، ومدّ قاضي القضاة يده مبايعاً ثم تتابع الأشراف والعلماء ورجال البلاد بمبايعته ملكاً على العرب»⁽¹⁾. وتبع ذلك اختيار علم للدولة مكوناً من أربعة ألوان: الأبيض، والأسود، والأخضر، والعنابي، وسكت العملة الهاشمية تمهيداً لقيام الدولة المنتظرة.

إنّ منجز الثورة العربية الكبرى بالغ الأثر في تاريخ الأمة وحاضرها، يمتد إلى مستقبل الأجيال القادمة، فقد «أعادت وحدة العرب الروحية، وخلق تاريخ قومي لم يكن له وجود أو شبه وجود منذ سقوط الخلافة العباسية في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد عندما تداعت تلك الوحدة وتفتتت إلى وحدات قطرية هيمنت على أكثرها عناصر غير عربية»⁽²⁾.

ولعلّ قيام الثورة العربية الكبرى على يد أمير عربي هاشمي من أعظم منجزات هذه الثورة، إذ آمن الشريف مكة الحسين بن علي - طيب الله ثراه - بأن «يستعيد للعرب حقاً مغتصباً في تقرير المصير، وفي المساهمة مساهمة حرة في بعث التراث العربي

(1) هنادي يوسف غوانمة، المملكة الهاشمية الحجازية (1910-1925م)، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، 1989م، ص74.

(2) نيقولا زيادة وآخرون، دراسات في الثورة العربية الكبرى، ط1، الشركة الأردنية العالمية للنشر والتوزيع، عمّان، د. ت، مقالة للدكتور نبيه أمين فارس، بعنوان «الثورة العربية الكبرى في الميزان»، ص222.

والسيادة العربية في البلاد العربية»⁽¹⁾.

وهذا ما جعل من الثورة العربية الكبرى ضرورة قومية، وحاجة ملحة، بعدما قام الشريف الحسين بن علي - طيب الله ثراه - «بواجب عظيم تجاه الأمة العربية في يقظتها الحديثة وأسدى إليها يداً بيضاء مشكورة، وأخرج القضية العربية بها من حيز الفكر والخاطر والأمنية إلى ميدان الحقيقة الواضحة العملية، وجعلها بارزة المكانة بين قضايا العالم القومية»⁽²⁾.

فالشريف الهاشمي لم يُقدم «على إعلان الثورة القومية إلا بعد رفض الأتراك مطالب العرب العادلة وحولوا البلاد إلى سجن رهيب، وقتل جمال باشا الحاكم العسكري في سوريا وفلسطين عشرات المثقفين، وأعدم شنقاً في دمشق وبيروت الطليعة الأولى من رجال النهضة العربية»⁽³⁾.

ومما يدعم الجانب القومي للثورة العربية الكبرى أن رسائل الشريف الحسين بن علي - طيب الله ثراه - مع مكماهون مليئة بالعبارات القومية مثل: العرب بأجمعهم، استقلال البلاد العربية، والأقطار العربية، إضافة إلى التركيز على البعد الإسلامي

(1) نيقولا زيادة وآخرون، دراسات في الثورة العربية الكبرى، مقالة للدكتور نبيه أمين فارس، ص 222.

(2) سليمان موسى، الثورة العربية الكبرى (وثائق وأسانيد)، ط 1، دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1966م، ص 1999.

(3) إبراهيم الشريقي، الثورة العربية الكبرى (دوافعها وحصادها والأحداث التي مرّ بها المشرق العربي، ط 1، مؤسسة الدراسات الدولية، لندن، 1984م، ص 15.

والاستشهاد بآيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم⁽¹⁾.
وامتداد الثورة العربية الكبرى في حياتنا المعاصرة أمر واضح، فروحها ما زالت حية، ومقومات استمرارها قائمة، وإرادة الشعوب الحرة الأبية موجودة، لذلك فإنّ «قضية الوحدة العربية ما تزال في مقدمة الأهداف التي يجب أن يُناضل العرب من أجل تحقيقها خصوصاً عندما تطرح الصهيونية التحدي المباشر للأمة العربية لغرسها إسرائيل في قلب الوطن العربي؛ لتفصل مشرقه عن مغربه وحتى لا تقوم للعرب دولة واحدة تشمل عرب آسيا وأفريقيا»⁽²⁾.

وهذا ما جعل من الثورة العربية الكبرى نهضة ثقافية شاملة ما زالت الأمة تحياها، ممّا يؤكد على إنجازاتها وسعيها إلى إقامة المشروع العربي الموحد. ومع ذلك كلّه فإنّ «الفهم الهاشمي للنهضة واجهته تحديات؛ فاحتلال البريطانيين والفرنسيين الشرق الأوسط، وحقيقة أن أيّاً من البلدان العربية الجديدة لم يتمتع حتى بالاستقلال الشكلي حتى الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين، والنفوذ المتزايد للصهيانية في فلسطين، كلّ هذه العوامل ولّدت شكوكاً متزايدة إزاء نجاح مستقبل النهضة»⁽³⁾.

وفيما يخص الجانب الإعلامي للثورة العربية الكبرى، فإنّ جريدة «القبلة» قد

(1) أسامة يوسف شهاب، الاتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي (دراسة في الفكر السياسي للثورة العربية الكبرى وثائق ونصوص وأسانيد)، ط1، مركز اللغات، عمّان، 1995م، ص171.

(2) العماد مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، ط1، منشورات مجلة الفكر العسكري، دمشق، 1978م، ص 619 - 620.

(3) بريندا دين شيلدجن وآخرون، عصور نهضة أخرى (مدخل جديد إلى الأدب العالمي)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أكتوبر، العدد 417، 2014م. ص 94.

تولّت التعريف بالنهضة العربية الكبرى، وبيان منطلقاتها، وأهدافها، ومسارها العسكري، تولّى رئاسة تحريرها محب الدين الخطيب ثم الشيخ الطيب الساسي، يشرف المغفور له الشريف الحسين على سياستها ويكتب بعض مقالاتها. صدر العدد الأوّل منها يوم الاثنين 15 شوال 1334 هـ / 1916 م.

وقد «عبّرت القبلّة عن نفسها في عددها الأوّل بأنها جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الأسبوع، وقد جاء في افتتاحية عددها الأوّل: «نحمدك اللهم أن رفعت قواعد هذا البيت العتيق ليكون قبلة للمسلمين، وكرّمته بنسبته إليك وطهرته للطائفين والعاكفين، وفرضت حجة على من استطاع إليه سبيلاً من المؤمنين ليتعارف في كنفه المسلمون، ويتآلف حول فوائده الموحدون، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المختار من خير القبائل في خير الأمم وآله وصحبه وسلم، أما بعد فقد تشمر العرب لصدع أغلالهم وتحفّزوا للخروج من رتقة عقابهم بعد ما صبروا على خوارق الحداث وعانوا من بوائق الزمان فاطمس معالم تاريخهم وكاد يقوض دعائم مجدهم...»⁽¹⁾.

لقد شرحت جريدة القبلّة «المشروع النهضوي الهاشمي، وردود الفعل عربياً وعالمياً وإسلامياً بإسهاب من خلال التعاون القائم بينها وبين هذه الصحف، حتى كانت بحق المصدر الأساس والسجل الحافل للنشاط الفكري والسياسي الذي شهدته المنطقة العربية في الفترة ما بين (1916 1924 م) كما بينت لنا بدايات النهضة التعليمية والاقتصادية والزراعية والاجتماعية في الحجاز والتي تمثلت

(1) محمد يونس العبادي، (جمع وتحرير) القبلّة «جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الأسبوع لخدمة الإسلام والعرب»، المجلد الأوّل، الأعداد (1 - 100)، عمّان، 1997 م، التقديم، ص 9.

بإنشاء المدارس والمعاهد وإقامة المشافي وتنظيم الأحوال العامة وذلك من خلال الإيرادات السنّية التي استهدفت النهضة العربية بكلّ معانيها وأبعادها، كما تكمن أهميتها كونها المصدر الرئيس الذي أرّخ للنهضة «الثورة» العربية الكبرى من جوانب متعددة، فكرية وعسكرية واجتماعية وسياسية غير غافلة عن الأحداث السياسية والعالمية مبرزة موقف الأمتين العربية والإسلامية منها لكونها ملتقى مفكري الأمة والناطقة باسم الذين شرفوا أن يكونوا طرفاً رئيساً في هذه النهضة... وكانت تصدر بأربع صفحات من القطع الكبير»⁽¹⁾.

وكان اعتزاز جريدة «القبلة» بالعروبة واضحاً في أعدادها «بعدما اعتبرت جمعية الاتحاد والترقي رياح القومية التي هبت على المنطقة بعد إعلان الدستور هي حق للحركة الطورانية وحدها دون غيرها من القوميات في الدولة العثمانية، فكان لا بدّ من التفاف العرب حول هويتهم العربية، وأكدت القبلة في صفحاتها على الاعتزاز بالعروبة وتاريخ العرب واللغة العربية»⁽²⁾.

تطرح الثورة العربية الكبرى اتجاهاتها الفكرية في كلّ عدد من أعداد جريدة القبلة التي يمكن إيجازها في «أن الثورة ثورة إسلامية تسعى لنصرة الإسلام وتحسين حال المسلمين والثورة ثورة قومية تسعى لتحقيق العدالة لأبناء القوميات بعامة والعرب بخاصة والنهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الحيّة، كي تمتلك حقوقها القومية التي هي حقوق طبيعية للأمة يمكن إجمالها في أن تكون لها دولتها الحرة المستقلة.

(1) محمد يونس العبادي، (جمع وتحرير) القبلة «جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الأسبوع لخدمة الإسلام والعرب»، المجلد الأول، ص 10.

(2) جبر الخطيب، العروبة والإسلام في خطاب الحسين بن علي، ط 1، منشورات إربد مدينة الثقافة الأردنية 2007م، ص 148.

والثورة ثورة توفيقية بمعنى أنها لا ترى تضارباً بين العروبة والإسلام وأنها في اتجاهاتها للنهوض بالعرب إنما تخدم الإسلام عامة⁽¹⁾.

وقد تركت الثورة العربية الكبرى أثراً واضحاً في حركة الشعر العربي الحديث، إذ إنَّ «الشعر الذي قيل في الثورة يؤكد أن هذه الثورة إنما قامت لمحاربة الظلم والطغيان الذي مارسه الاتحاديون ضد العرب وضد الإسلام على السواء، وأنها لم تكن ثورة ضد الخلافة أو ضد العنصر التركي، لا بل هي ثورة ضد ممارسات الاتحاديين بعد سيطرتهم على مقاليد الأمور في دار الخلافة، فضلاً عن تأكيد الشعر الذي قيل في الثورة العربية الكبرى التفاف العرب في شتى بقاع العالم العربي حول قيادة الحسين بن علي، ومبايعتهم له وحرصهم على أن ينضوي الجميع تحت رايته الهاشمية التي لا يرضون بديلاً عنها ولا يرون خلاصاً لهم إلا بالولاء لها والسير في ركابها»⁽²⁾.

وقد جاء هذا الكتاب ليحتفي بمنجز الثورة العربية الكبرى، وأثره في الشعر الأردني المعاصر، إذ بدأ توهج هذا الأثر في شعر الملك المؤسس جلالة المغفور له الملك عبدالله الأول ابن الحسين الذي أنجز وعده وتقبل خطر الموت من أجل قضية الأمة العربية وعلى تراب فلسطين الطهور، ومن أجل الوطن والدفاع عنه والسمو برسالة والده المغفور له الشريف الحسين بن علي - طيب الله ثراه - من أجل رفعة الأمة، ووحدتها المنشودة.

(1) سهيلة الريماوي، الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة، ط 1، منشورات لجنة تاريخ الأردن، 1992م، ص 25.

(2) تركي المغييض، صدى الثورة العربية الكبرى في الشعر، ط 1، منشورات وزارة الشباب، عمان، 1989م، تقديم الدكتور عوض خليفات، ص 16.

فالملك عبدالله الأول ابن الحسين أحد جنود الثورة العربية الكبرى الذين شاركوا في حمل راياتها في ساحات القتال، فضلاً عن كونه أحد الثائرين ضد الظلم، نظم الشعر وبعث جزءاً من ثورته في ثنياه.

وهذا ما ظهر أثره في حركة الشعر المعاصر في الأردن، إذ لم يتخل الشعر عن دوره الريادي في تحفيز الأمة وتسجيل بطولاتها منطلقاً في ذلك من رسالة الالتزام، وإرث حضاري خصب ما زال الشعراء ينهلون منه في إبداع قصائدهم على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية، ومستوياتهم الفنية.

الفصل الأول

الحركة التشريعية في الأردن (1921 – 1946م) ..

الجدور والامتداد

الحركة الشعرية في الأردن (1921 - 1946م) ..

الجدور والامتداد

إنَّ أهم ما يُميِّز النص المؤسس أنَّه نص ممتد دائم التأثير متعدد الاتجاهات الفكرية، اكتسب طابعه التأثيري من طبيعته التي أُبدع فيها، وهو بهذه الميزة نص صاحب سلطة وجدانية، وجذوة إبداعية يمكن الاستئارة بوجهها على مرِّ الأزمنة. من هذا المنطلق الفكري يمكن دراسة الحركة الشعرية في الأردن خلال الفترة الزمانية الواقعة ما بين عامي 1921 - 1946م وبلغة أخرى من تاريخ تأسيس إمارة شرقي الأردن على يد الملك المؤسس عبدالله الأول ابن الحسين - رحمه الله - وحتى تاريخ استقلال الأردن الذي عُرف بعد هذا التاريخ بالمملكة الأردنية الهاشمية. وإذا كانت دراسة الشعر ضمن إطاره التاريخي قد غابت عن الدراسات النقدية في زمن الحداثة الشعرية وما بعدها، فإن هذا المنظور التاريخي يبدو مناسباً عندما نتحدث عن نص مؤسس، فلا يمكن لحداثة شعرية ممتدة في نتاجنا الإبداعي أن تكون بهذه الصورة المتقدمة دون أن تنطلق من حاضنة فكرية خصبة تسهم في تصوير الواقع وتلوينه برؤى مبدعية.

يقوم المنهج التاريخي على ربط الحدث بزمان معين، يدور الأدباء في فلك السلطة السياسية مادحين ومباركين، أو ناقمين وثنائين، يتقدم الأدب ويزدهر بازدهار الدولة ويتخلف أيضاً بتخلفها. وبخاصة عندما يكون رأس النظام السياسي راعياً للأدب والحكم معاً يحتضن الأدباء ويأخذ بيد المفكرين كما تحدثنا المصادر التاريخية عن حال الأدب في ظل الدولة الحمداية في الشام والطاهرية في

شيراز، أو الفاطمية في مصر وشمال إفريقيا.

إنّ المنهج التاريخي في النقد «حساس - شأن أي منهج - إذا فقد فيه صاحبه توازنه زلت قدماه، واختل ميزانه، وصار مؤرخاً جماعاً»⁽¹⁾.

فاللنصوص الأدبية قوانينها الخاصة، ولحياة مبدعيها دورٌ في صياغة التجربة الفنية في قالب إبداعي، وهذا ما يجعلني لا أقف طويلاً مع هذا المنهج الذي لا يُسهم في تحليل النصوص الأدبية تحليلاً نقدياً يقف على جمالياتها الفنية بقدر ما يُمهّد الطريق للوقوف على الثوابت والمنطلقات التي تركت بصماتها فيما يُدعى من قصائد، وينشر من دواوين شعريّة.

ولدت الحركة الأدبية في المملكة الأردنية الهاشمية بقدم الأمير عبد الله ابن الحسين سنة 1921م إلى شرقي الأردن قادماً من الحجاز، وتأسيسه إمارة شرقي الأردن، بعدما كانت جزءاً من إمارة سوريا الخاضعة للحكم العثماني⁽²⁾.

وقد رافق هذا الاستقرار السياسي ثورة حياتيّة، شملت كافة مجالات الحياة، إذ وطّد الأمير عبد الله دعائم الدولة، ووفّر للحركة الأدبية عوامل تطوّرها، فجاءت مجالسه نواة لحركة أدبية متحفّزة، «وذلك بتشجيعه الأدب والأدباء وأصحاب الأقلام، وبمشاركته في المعارك الأدبية والنقدية التي كانت تثور على صفحات الجرائد.... إذ كان هو قطب الرّحى بما يثير من معارضات ومساجلات وتشطير

(1) علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ط1، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص 398.

(2) انظر: سليمان موسى، إمارة شرقي الأردن، نشأتها وتطورها في ربع قرن 1921-1946،

ط1، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1990م، ص 13.

وإجازات وامتحان للشعراء والأدباء»⁽¹⁾.

لذلك تحرر الشعر من الطابع الشعبي البسيط، وأصبح أكثر قدرة على التعبير الوجداني ومواجهة الواقع⁽²⁾.

وزاد من توهج هذه المجالس استقطابها لنخبة من الشخصيات الأدبية في الوطن العربي التي وفدت إلى الإمارة في سنوات التأسيس، مما يعني بروز الطابع القومي مع لحظات الولادة الأولى للإمارة.

لقد أسهمت مجالس الملك عبد الله في توفير بيئة خصبة، ومحفزة لإبداعات الشعراء، بفضل توافر مجموعة من الشعراء العرب الذين تجمعوا في شرقي الأردن بعد سقوط الحكم الفيصلي في دمشق، مثل: الشيخ فؤاد الخطيب، ومحمد علي الحوماني، وسعيد الكرمي، ووديع البستاني، ومصطفى الغلاييني، وعبد المحسن الكاظمي، وغيرهم ممن أثروا الحركة الشعرية بمساجلاتهم الأدبية وآرائهم النقدية. وقد برز من الشعراء في الأردن: مصطفى وهبي التل، وحسني زيد الكيلاني، وحسني فريز، وعبد المنعم الرفاعي، إذ استلهموا روح الأحداث المتسارعة على الساحة الأردنية التي شهدت «شعراً سياسياً، وشعر معارضة، تناول فيه أصحابه القضايا السياسية كالاستقلال والحكم البريطاني، ومصادرة الحرية، وإغلاق الصحف، والمؤامرة على فلسطين، ومأساة شعبها»⁽³⁾.

(1) سمير قطامي: الحركة الأدبية في شرقي الأردن (1921 - 1948 م)، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1981 م، ص 41 - 42.

(2) انظر: تركي المغييض، الحركة الشعرية في بلاط الملك عبد الله بن الحسين (1921 - 1948 م)، ط1، وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1980 م، ص 26 - 27.

(3) سمير قطامي: الشعر في الأردن، ط1، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1993 م، ص 17.

ولعل سيطرة الطابع القومي كان واضحاً على شعر هذه الفترة «من ذكر الثورة العربية، والدعوة إلى الوحدة، وإحياء الأمجاد القديمة في دولة قوية واسعة تمتد من الرافدين حتى حدود مصر»⁽¹⁾.

وقد واكب الشعر في عهد الإمارة الأغراض المعروفة في الشعر العربي من غزل، ومدح، وهجاء، ورتاء، فضلاً عن اتجاهه القومي الذي أبرز دور الإمارة في التحفيز الثوري ضد الاستعمار، ومقاومة أطماعه التوسعية، إذ ظهر في هذا المجال مصطفى وهبي التل، ومحمد الشريقي، وشكري شعشاعة، وحسني فريز، وعيسى الناعوري، فضلاً عن إسهامات الملك الشاعر الذي «كان صانع حركة شعريّة، وحامل لواء أدب، مثلما كان صانع تاريخ، وحامل لواء ثورة وكفاح، ومن ثم فقد بنى إمارتين في آن واحد، بل مملكتين: مملكة الأدب والفكر، ومملكة السياسة والحكم»⁽²⁾.

يتّسم شعر هذه الفترة بالخطابية، والتزام شعر المناسبات، ووجود المبالغات أحياناً. وبرز في هذه الفترة الشاعر مصطفى وهبي التل «عرار» الذي يعدّ ظاهرة شعريّة وسياسية متميزة، رافقت الحركة الشعريّة في مراحلها اللاحقة، ذلك أنه أضفى على القصيدة في الأردن طابعاً شعريّاً خاصاً، اتّسم بالانتماء إلى المكان الأردني، والتعبير عن هموم سكانه، والتمرد على الظلم، ورفض السيطرة الأجنبية على مقدرات الوطن. ولا ننسى أهمية الصحف والمجلات التي ظهرت في عهد الإمارة،

(1) عبد القادر أبو شريفة وآخرون: الشعر الحديث في الأردن ونقده (أوراق الملتقى الثقافي الأول، جامعة آل البيت - وزارة الثقافة)، ط 1، منشورات جامعة آل البيت، 1997م، بحث لإبراهيم خليل بعنوان: حركة الشعر الحديث في الأردن، ص 20.

(2) خلف النوافلة: خواطر النسيم (شعر الملك عبد الله الأول بن الحسين)، جمع وتحقيق، ج 1، ط 1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2002م، ص 27.

ودورها التحفيزي في الحركة الفكرية والأدبية والسياسية، ومن أشهر هذه الصحف: الشرق العربي، وجزيرة العرب، والشریعة، وصدى العرب والأردن، والأنباء، والجزيرة، والرائد⁽¹⁾.

وكانت صحيفة «الجزيرة» في مقدمتها، إذ حظيت بإشراف تيسير ظبيان وتشجيع الأمير عبد الله حيث ساهمت «مساهمة فعّالة في توجيه الرأي العام ومحاولة إصلاح الأوضاع السياسية والاجتماعية»⁽²⁾.

لم تعرف منطقة شرقي الأردن قبل تأسيس الإمارة حركة أدبية بمعناها المعروف الآن؛ لندرة التعليم، وتضييق العثمانيين للحريات والتخلف الاجتماعي، لا نكاد نعثر قبل تأسيس الإمارة على شعر فصيح بل كلّ ما وصلنا قبل عام 1921م، هو زجل وشعر بدوي باللغة العامية السائدة لشعراء مثل: إبراهيم الدوقراني، ونمر بن عدوان، وعلي الميثي، ومصطفى السكران، وغيرهم من الشعراء الذين ترك شعرهم أثراً واضحاً في صياغة الوجدان الشعبي شعراً، فضلاً عن تغلغله في الذاكرة الوطنية، وامتداده في شعر ما بعد الإمارة وبخاصة في موضوعاته التقليدية التي تقوم على الحماسة والغزل والرثاء. ولا يمكن إنكار أهميته في إمداد الشعر بروحه الشعبية ذات الطابع البدوي الأصيل.

في عهد الإمارة ازدهرت المساجلات الشعرية في قصر رغدان، إذ شارك الملك المؤسس فيها مجموعة من الشعراء، أهمهم: فؤاد الخطيب، ووديع البستاني، ومصطفى وهبي التل، والشيخ حمزة العربي وغيرهم. إذ «لوّنت هذه المساجلات

(1) انظر: سمير قطامي، الحركة الأدبية في شرقي الأردن (1921 - 1948م)، ص 31 - 33.

(2) أسامة يوسف شهاب: صحيفة الجزيرة الأردنية (دورها في الحركة الأدبية)، ط 1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1988م، ص 48.

الحياة الأدبية آنذاك بلون أدبي مميز، وأظهرت الوجود الشعري للناس، الأمر الذي جعلهم يهتمون بالشعر وقراءاته ومحاولة نظمه... ناهيك عن المنافسة التي وجدت بين الشعراء فكانوا يتبارون في نظم القصائد حتى تنال إعجاب الأمير⁽¹⁾.

أصبحنا في هذه الفترة الزمانية نقرأ شعراً قومياً وحدوياً مقاوماً للاستعمار، فضلاً عن الشعر الاجتماعي الإصلاحي المحمّل ببذور فكريّة وإنسانية (الغزل، والمدح، والخمریات، الرثاء، الفخر).

صدر في هذه الفترة الزمانية ثلاثة دواوين من الشعر، الأوّل «ديوان الحوماني» لمحمد علي الحوماني عام 1927م، والثاني «هياكل الحب» (الجزء الأول) لحسني فريز عام 1938م. والثالث: «أطياف وأغاريد» لحسني زيد الكيلاني عام 1946م. بتأسيس الإمارة تطلّع المثقفون العرب إلى حلم عربي واحد، وهدف عربي واحد.

ولا ننسى أثر الحرب العالميّة الأولى في نشأة التيار القومي في الشعر، إذ تمخضت عن بروز تيارين مهمين في الأدب العربي الحديث، «هما التيار الوجداني، والتيار القومي الاجتماعي، وقد كانا يسيران متصاحبين متوازنين، يتعانقان حيناً، ويتجافيان أحياناً، ولذلك كان لا بدّ للباحث في سبيل فهم أحدهما من فهم التيار الآخر؛ لأنهما كليهما يمثلان وجهين متقابلين، وقطاعين مضطربين لحياة عربية واحدة»⁽²⁾.

(1) تركي المغيص: الحركة الشعرية في بلاط الملك عبد الله بن الحسين (1921 - 1948م)، ص

(2) عمر الدقاق: الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ط4، دار المشرق العربي، بيروت،

وقد واكب الشعر في الأردن منذ تأسيس الإمارة حركة المد القومي التي شهدتها العالم العربي، وبخاصة مقاومة سياسة جمعية الاتحاد والترقي القائمة على التتريك، وطمس الهوية العربية، «فكان من نتيجة هذه النزعة أن أجمع الزعماء العرب على الاعتصام بالقومية العربية، ونشر مبادئها، والعمل على الترويج لها بين أبناء قومهم، والمطالبة بالاستقلال التام للبلاد العربية»⁽¹⁾، مما مهّد لاندلاع الثورة العربية الكبرى عام 1916م؛ لتحرير العرب من الظلم والاستبداد.

ويجد المتأمل في طبيعة الشعر الأردني منذ بدايات تأسيس الإمارة، أنّ معظم ما قيل من أشعار «كان شعراً يتغنى بالثورة العربية الكبرى، ويمتدح قادتها، ويستنهض الهمم من أجل التحرير، والاستقلال، يُضاف إلى ذلك أن الشعر الأردني ساند ثورات العرب التحريرية»⁽²⁾.

وهذا يعني أن الرسالة القومية للشعر الأردني كانت حاضرة بقوة منذ البدايات الأولى للإمارة، وهي رسالة لا تناقض الرسالة الإنسانية، بل هي جزء منها، مما جعل الشعراء يصلون من خلال أشعارهم إلى ضمير الأمة التي أنبتتهم، فصوروا ما يهيم في وجدانهم من ثورة، وتطلّع إلى التحرر.

لقد توافرت للإمارة عوامل جعلت منها منطقة استقطاب للأدباء والمفكرين العرب الذين لعبوا دوراً كبيراً في النهضة الأدبية الحديثة، مما جعل الانطلاقة القومية

(1) أحمد أبو حقة: الالتزام في الشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، 1979م، بيروت، ص127.

(2) محمد عطيات وآخرون: الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي (أوراق ملتقى عمّان الثقافي الخامس) ط1، وزارة الثقافة، عمّان، 2001م، بحث لطارق المجالي بعنوان: «الهم القومي في القصيدة الأردنية المعاصرة من 1967 - 1991م»، ص110.

من إمارة شرقي الأردن، إذ كان لمساواة الأمير بين السوري واللبناني والعراقي، والأردني دور كبير في نمو الفكر القومي الحديث، وتكوين الإمارة، حتى وصل العرب فيها إلى أعلى المناصب⁽¹⁾.

ولعل إبرام المعاهدة الأردنية البريطانية في شباط 1928 م، «كان نقطة تحوّل هامة في تاريخ الحياة السياسية في شرقي الأردن، إذ لم يكتف المواطنون بالتعبير عن سخطهم عليها بالمظاهرات التي عمّت المدن، أو ببرقيات الاحتجاج التي أمطروا بها الجهات المسؤولة في عمّان، بل تنادى زعماءهم ومثقفوهم إلى عقد أول مؤتمر وطني للنظر في بنود المعاهدة، والاتفاق على خطة للعمل السياسي المتصل»⁽²⁾.

ولم يتخلّ الشعر عن دوره القومي، ولا غرو في ذلك، فالإمارة قامت على أساس قومي، ومن أجل غاية قوميّة، حيث بث الشعراء من خلال قصائدهم دعوتهم إلى الوحدة العربية، ودفاعهم عن قضايا الأمة، فدعوا إلى الوحدة السورية، والتكاتف ضد الاستعمار الفرنسي، ومساندة الثورة السورية (1925-1927 م)، وثورات الفلسطينيين (1929-1948 م)⁽³⁾.

لعلّ أهم شعراء هذه الفترة مصطفى وهبي التل (عرار) الذي يحتل مكانة مهمة في القصيدة الأردنية المعاصرة؛ وذلك لما يمثله من تجربة وطنيّة متميّزة على الساحة الأردنية منذ نشأة الإمارة، وحتى وقتنا الحاضر، إذ اكتسب خصوصية متمرّدة على

(1) انظر عيسى الناعوري: الحركة الشعرية في الضفة الشرقية من المملكة الأردنية الهاشمية، ط 1، منشورات وزارة الثقافة والشباب، عمّان، 1980 م، ص 6.

(2) علي محافظة: تاريخ الأردن المعاصر (1921-1946 م) ط 2، مركز الكتاب الأردني، عمّان، 1989 م، ص 75.

(3) انظر سمير قطامي: الحركة الأدبية في شرقي الأردن (1921-1948 م)، ص 71-88.

الظلم بأنواعه، وأغنى الشعر في الأردن بمفردات المكان الأردني، فكانت جغرافيا الوطن معجماً لشعره، ودليلاً صادقاً على عمق الانتماء للوطن.

وإذا كان عرار شاعراً إشكالياً في حياته وشعره، جذب إليه النقاد والدارسين للكشف عن تجربته الإبداعية، ومنهجه الفكري، فإن حضوره بعد وفاته كان لائقاً بحياته الحافلة بالأحداث الوطنية، والفكرية، إذ أصبح مخاطباً يستدعيه الشعراء في أحلك الأوقات.

ويرى الدكتور زياد الزعبي أن محمود التل كان من الشعراء الأردنيين الذين اقتفوا أثر عرار، وترسموا خطاه في الموضوع والأسلوب⁽¹⁾.

أمّا الدكتور محمد حور، فيرى أن القصائد التي قيلت في رثاء عرار بعد ربع قرن من وفاته أكثر من التي قيلت قبل ذلك، ولعلّ تفسير ذلك راجع إلى اكتمال الفكر العراري في أذهان الشعراء والمفكرين، ثم حاجة هؤلاء الشعراء إلى استدعاء شخصية وطنية لها ماضيها العريق، وبخاصة بعد تتابع الهزائم في حياة الأمة، فلم يخرج رثاء عرار عندهم عن الاستغاثة والمناجاة، أو التردد لما طرحه في أشعاره⁽²⁾.

والقارئ لشعر حيدر محمود، وحبيب الزبودي، ومحمود فضيل التل، وعلي الفزاع وخالد محادين وغيرهم من الشعراء الأردنيين يدرك ببساطة تشكّل الخطاب العراري في أشعارهم، فعرار أحد مرجعيات الكتابة الإبداعية لهم، بل إنّه ينبوع إبداع

(1) انظر زياد الزعبي: أثر عرار في شعرنا المعاصر، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، عمّان، العددان (89 - 90)، 1989م، ص 59.

(2) زياد الزعبي وآخرون: مصطفى وهبي التل (قراءة جديدة) ط 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بحث للدكتور محمد حور، بعنوان «الصوت والصدى عرار في عيون الشعراء»، 2002م، ص 78 - 79.

متفجّر في قصائدهم، ينهلون منه كلما شاغلتهم فكرة، أو اشتدّت عليهم معاناة الحياة، فعرار ملهم وطني، وصاحب تجربة وطنيّة خصبة في وقت مهم من تاريخ النضال الوطني ضد المستعمر الأجنبي، حذر باستمرار من سوء عاقبة الواقع، والاستكانة للقوى الأجنبية، ممّا جعله بؤرة مهمة في مسيرة الشعر المعاصر في الأردن.

ولعلّ التغني بالثورة العربية من المضامين الشعرية ذات الأثر الخالد في مسيرة الشعر في الأردن، وهي ثورة ذات منزع قومي واضح، بل شكّلت أول حركة قوميّة حديثة شهدها العرب في العصر الحديث، جاءت بعدما اشتدت معاناة العرب، واضطهادهم على يد الأتراك، مما جعل قيامها حدثاً مدوياً في تاريخ العرب الحديث، ترك صداه في حركة الشعر، فنهض الشعراء مفتخرين بها، وداعين لاستمرارها، وممجدين مفجرها الشريف حسين بن علي، وأنجاله من آل هاشم. وبعد، فإن الشعر في الأردن في مرحلة ما قبل الاستقلال قام بدور كبير في توجيه الرأي العام وتنبيهه من مخاطر الاستعمار والدعوة إلى الوحدة العربية والتكاتف في مواجهة الأخطار.

إنّ حالة الشعر في هذه الفترة لا يمكن تجاوزها أو إنكار قيمتها لما لها من أهمية كبيرة في تشكيل هوية القصيدة الأردنية وترسيخ مضامينها. لقد أسهمت عدة عوامل في جعل شعر هذه المرحلة نصّاً مؤسساً لمسيرة الشعر في الأردن، لعلّ من أهمها:

1. وجود الأمير عبدالله بن الحسين ورعايته لحركة أدبية مزدهرة، فقد كان شاعراً بليغاً وناقداً يتذوق الشعر ويستقدم الشعراء من حوله.
2. هيمنة الشعر بوصفه وسيلة إعلامية (في ظل غياب وسائل العولمة

المعاصرة) وغياب واضح للفنون السردية بشكل عام والرواية بشكل خاص (إذا ما استثنينا رواية أبناء الغساسنة لروكس بن زائد العزيزي، ومحاولة تيسير ظبيان: «أين حماة الفضيلة» وشكري شعشاعة «ذكريات». وهذا منح الشعر أفضلية واضحة بعدما اكتسب السيادة.

3. الذائقة الشعرية الجيدة المنتشرة بين الناس آنذاك أسهمت في تعزيز دور الشعر الريادي في مخاطبة الأذهان، واستمالة القلوب.

4. الظرف السياسي الملهب، ممّا أسهم في إيجاد حركة مدّ قومي تحرري واضحة، كان الشعر أحد أدواتها الفاعلة.

5. إنّ هوية الدولة الأردنية بزغت من هذه المرحلة المشرقة بقدم الهاشميين وتأسيسهم إمارة شرقي الأردن بطابع تحرري قومي انعكس على الشعر والشعراء ومنح الشعر في الأردن هويته ونبضه الوطني العروبي الواضح. إذ برزت في هذه المرحلة وظيفة الشعر بوصفه كلمة مقاتلة ما بين عام 1921 (التأسيس) وعام 1946 (الاستقلال) فضلاً عن وظيفة الشعر التعليمية الأخلاقية والتعبير عن هموم الذات والمشاعر الإنسانية، والالتزام بقضايا المجتمع ونبذ الفساد والسعي للإصلاح ممّا شكّل رؤيا شعرية استكشافية واستشرافية للمستقبل. فثقافة الشعراء الواسعة وقيام الشعر بوظيفته السياسية من العوامل التي أثرت هذا الشعر.

لقد بقي الشكل التقليدي للقصيدة العربية راسخاً في كثير من النتاج الشعري المعاصر، وهو نهج أرست قواعده قصائد هذه المرحلة، لذلك نجد هذا الشكل الإبداعي يسير جنباً إلى جنب مع شعر الحداثة الذي لا يمكن إنكار هذه الحداثة في شعر عرار في مرحلة ما قبل الاستقلال، وشعر تيسير سبول في ديوانه «أحزان

صحراوية» بعد الاستقلال.

6. إنَّ تصوير الثورة العربية الكبرى ومبادئها التحررية التي قامت عليها محور واضح في شعر هذه المرحلة، فضلاً عن محور مقاومة المستعمر، فالبلاد ما زالت خاضعة للاستعمار، واليهود يتربصون بفلسطين متكئين على وعد بلفور المشؤوم.

لقد التقى هذان المحوران وأنتجا البعد القومي في الشعر في الأردن الذي ما زالت القصيدة الأردنية تنفياً ظلالة حتى الآن، فقضية فلسطين ما من شاعر في الأردن إلا وتغنّى بها، كذلك فإن هذا الشعر قد استمر في مقاومة الاستعمار ومناصرة قضايا التحرر في الدول العربية. علاوة على أن منزع الإمارة القومي أسس لاتجاه مهم في القصيدة الشعرية في الأردن وهو حبّ الوطن العربي والدفاع عن قضاياها العادلة. وضرورة المحافظة على مُنجز الاستقلال الماثل في كلّ ما أُبدع وشُيّد من أدب.

وعليه، فإنّ ما كتبه الدكتور ناصر الدين الأسد، والدكتور تركي المغيض، والدكتور سمير قطامي، والدكتور زياد الزعبي، والدكتور إبراهيم خليل، وعيسى الناعوري، والدكتور محمد العطيات وغيرهم من الباحثين عن شعر هذه المرحلة يبقى مهّماً في الكشف عن طبيعة الحركة الشعرية في فترة ما قبل الاستقلال، إلا إنَّ الدواوين الشعرية لشعراء مثل: الملك عبد الله بن الحسين، وعرار، وحمزة العربي، ومحمد الشريقي، وحسني فريز، وشكري شعشاعة، ونديم الملاح، وتيسير ظبيان، وفؤاد الخطيب، ومحمود الروسان، وإبراهيم المبيضين، ونجيب القسوس وغيرهم من شعراء هذه الفترة تبقى منهلاً عذباً وفيضاً صادقاً لشعر هذه المرحلة، ذلك أنها ما زالت بحاجة إلى الدراسة والبحث لما تكتنزه من معلومات وتكشف عنه من اتجاهات ذات أهمية إبداعية وقيمة فكرية تكشف عن التوافق السياسي والفكري

الذي عاشه أبناء هذه الفترة الزمنية واتحادهم ضد المستعمر ورغبتهم في مقاومته فضلاً عن الانسجام الاجتماعي بين شرائح المجتمع، بعدما شكّلت القيم الاجتماعية السائدة والترابط الأسري فضلاً عن ارتداده لموروث فكري خصب ميزات واضحة لهذا الشعر عزز من سلطته المتأصلة في النفوس. وقد أكد كلا من الدكتور ناصر الدين الأسد في كتابه «محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والأردن» الصادر عام 1961م والدكتور سمير قطامي في كتابه «الحركة الأدبية في شرقي الأردن» على أهمية دراسة هذه الفترة وخصوبتها الفكرية والفنية، لكنهما يؤكدان إهمال كثير من الدارسين لها، فضلاً عن ضياع بعض المعلومات المهمة عن هذه الفترة لأسباب مختلفة.

يُدرج الدكتور زياد الزعبي في كتابه (قراءات.. مقالات ونصوص ثقافية) أسباب غياب كثير من شعر هذه المرحلة «أقلها فيما أرى الامتداد التاريخي السياسي الثابت الذي يجعل منه بعضهم سبباً يحول دون استقصاء ما كُتب وإخراجه للنور»⁽¹⁾. كذلك فإن ضآلة إمكانيات الطباعة والنشر من الأسباب التي جعلت معظم نتاج هذه المرحلة مبعثراً فضلاً عن ظروف بعض الشعراء أو ورثتهم التي لم تسمح لهم بالناية بأشعارهم بل ربما دفعت ببعضهم إلى إخفائه. ولا ننسى أن اهتمام الباحثين بشعر هذه المرحلة اهتماماً حقيقياً جاء متأخراً في السنوات الأخيرة⁽²⁾.

ومن الناحية الفنية فإن جزالة اللفظ وفخامته ومتانة الصور الشعرية والموسيقا ذات الإيقاع الغنائي ميزات واضحة لشعر هذه المرحلة.

فالباحث لشعر هذه الفترة يلمس زخماً في الأسماء الشعرية، وزخماً في النتاج

(1) زياد الزعبي: قراءات (مقالات ونصوص ثقافية)، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2002م، ص 10.

(2) انظر المرجع نفسه، ص 10 - 11.

الشعري، وتعدداً في الاتجاهات الفكرية، لكن يلمس - في الوقت نفسه - اهتماماً لا يوازي هذا الكم الهائل من الإنتاج الشعري.

وهذه دعوة لكل المهتمين بالحركة الأدبية في الأردن؛ لإعادة نشر ودراسة شعر هذه الفترة المهمة من تاريخ المملكة الأردنية الهاشمية لفهم ما يُنظم من أشعار معاصرة بقيت محافظة على إرث هذه المرحلة الخصب.

الفصل الثاني

الدراسة الموضوعية

أثر الثورة العربية الكبرى في مضامين القصيدة الشعرية

لقد تعددت الموضوعات الشعرية التي ظهر أثر الثورة العربية الكبرى في صياغتها الفكرية، إذ جاء الشعر صورة واضحة لامتزاج الفكر بالوجدان في تشكيل مبدع لقضايا قومية ووطنية واجتماعية ذات ثراء فكري، فقد واكب الشعر في الأردن الأحداث السياسية الكبرى التي مرت بها الأمة العربية منطلقين من الفضاء القومي للثورة العربية الكبرى، الذي استمر متوهجاً في عهد إمارة شرقي الأردن، إذ تميّز فكر الملك المؤسس بذلك، وصبغ الإمارة منذ لحظات الولادة الأولى، ممّا أسهم في ظهور حركة شعرية ناضجة، تنبض بالحرية وتتدفق بالوحدة والنضال.

ولعلّ السمة المميزة لشعر الثورة بشكل عام هي العمق المضموني، أي أنّه يقوم على «تغليب المضمون على الشكل، ولكنه لا ينفى الشكل نهائياً، أو يسقطه من الحساب لئلا يقع في حمأة النثر المحض والشعارية، بل يؤمن بالوحدة العضوية الحية بين الشكل والمضمون الثوري، وبأن المضمون الثوري هو الذي يتطلب شكله المناسب»⁽¹⁾.

لقد جاءت مشاركة الشعراء فاعلة في التحفيز الشعري، والتغني بماضي الأمة، واستنطاق واقعها، للتعبير عن روح التحدي والصمود، ممّا أضفى عليها طابع الالتزام والمقاومة معاً.

إنّ السمة الغالبة على الحياة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، هي الضياع، وفقدان القدرة على التواصل مع الذات، فضلاً عن دخول البلاد العربية تحت سيطرة الاستعمار، وما تبعه من نكبات وحروب مدمرة، تمثلت بفقدان فلسطين، وانفصالها تدريجياً عن جسدها العربي، الأمر الذي جعل انعكاسها على الشعر أمراً لا مفرّ منه.

لقد أكسبت الأحداث السياسية المتتالية، وواقع الأمة المنكسر حركة الشعر في

(1) جليل كمال الدين: دراسات أدبية، ط 1، المكتبة العالمية، بغداد، 1985 م، ص 83.

الأردن طابع الألم والمعاناة، ممّا جعل نبرة التفجّع والبوح الداخلي الحزين، نغمة مألوفة في القصيدة، تشكّل لغتها وإيقاعاتها، وتبني صورها ورموزها.

وبهذا يساهم العنصر الشعوري في منح القصيدة حركة مضاعفة، يجعلها أكثر قدرة على تجسيد الواقع شعريًا، وتتحول فيه التجربة إلى كلمة شعريّة، تعيد اللحظة الماضية، وتجدد وقع الموت في النفس البشرية⁽²⁾. ممّا جعل التناج الشعري يتوافق مع جوهر العملية الإبداعية، إذ «ليس من وظيفة الشعر، ولا من طبيعته أن ينقل الأخبار، ويسجل الوقائع، وإلا كان تاريخًا، وإنما وظيفته أن ينفعل بالأحداث، ويُبرز صداها في النفس»⁽³⁾.

وهذا يعني أن عملية الخلق الشعري، تخضع لثنائية مهمة، تؤحد العمل الفني، الذي ينبع من مصدرين، هما: «جبرية غامضة تكمن في اللاوعي، ومن تنظيم صناعي تام الوعي، فهو عملية تختلط فيها الحياة باللغة، ويتزاوج فيها المعنى والمبنى، ويلعب فيها كلّ من التنقيح والطبع دورهما»⁽⁴⁾.

وقد تجلّى أثر الثورة العربية الكبرى في القصيدة الأردنية من خلال الموضوعات الشعرية التالية:

1. رثاء الأمة العربية

إذ يرثي الشعراء الأمة العربية رثاءً حزينًا، يُبرز حالة الفرقة التي انتشرت في جسدها، وما سادها من ضياع وسكون، أفقدت الفعل العربي قدرته على الحركة الإيجابية، إذ

(2) يُنظر، فؤاد رفقة، الشعر والموت، د- ط، دار النهار للنشر، بيروت، 1973 م، ص 28.

(3) كامل السوافيري، الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة 1917 م إلى 1955 م، ط 1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1963 م، ص 632.

(4) اليزابت درو، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، د- ط، مكتبة منيمنة، بيروت، 1961 م، ص 25.

استمد الشعراء من الثورة العربية الكبرى عوامل الوحدة والثبات، كما في قول خالد محادين مصوراً حال أمته⁽¹⁾:

ما نامَ الوطنُ العربي ولكنَّ السيفَ العربي
استسلمَ للغمدِ ونام
لا أرثي للراياتِ المرفوعةِ مزقاً فوقَ الشرفات
لكنِّي أرثي للرايةِ واحدةً كانتُ
كانتُ كُلَّ الأنهارِ العربيةِ واحدةٍ والأحزانُ العربيةِ
حزناً

أمّا خالد الساكت فيرسم صورة ساخرة لحال الأمة المستكين، وبلوغها حالة موت كاملة، تبعث على الألم، وتجعل العار ملازماً لها⁽²⁾:

«يا أُمَّةٌ ضحكت من عارها الأُمُّ»
وجيشُها قبلَ بدءِ الحربِ ينهزمُ
أضحت رصيفاً معرّياً:
فخذُها علماً
وللعدوّ إذا ما هلَّ تبتسمُ

وما هذه الصورة الساخرة إلا انعكاس لحالة هوان، تثير الضحك والألم معاً إذ يحمل أسلوب السخرية بين طياته ألماً مضاعفاً، يتجاوز فعل الرثاء المباشر إلى آفاق معنوية تعكس حيرة النفس وعجزها أمام الواقع.

(1) خالد محادين، الأعمال الشعرية، د. ط، منشورات مكتبة عمّان، د. ت ص 179.

(2) خالد الساكت، المخاض، ط 1، بلا مكان، 1987 م، ص 79.

ويرى ناصر الدين الأسد في ضياع فلسطين تكراراً لمأساة العرب في الأندلس، التي يستحضرها عند زياراته لقرطبة، إذ يفتح الماضي على الحاضر، ليرسخ فعل الفقد والهوان، ومرارة التجربة، مما سبب انطلاق أحزان الشاعر متحفزة، ومشبعة بالتحسر، والوجع على الحاضر العربي⁽¹⁾:

أشكو إليك هوانَ قومي في الـورى
وتحكُّمَ، السـفهاءِ والأشـرارِ
حكْمُ الطوائفِ لا يزالُ بأرضنا
متجسِّلاً بالخـزي والأوزارِ
خدعوا الشعوبَ وضَيَّعوا أوطانَهَا
وتربَّعوا فوق السَّنى المنهارِ
لم يُجِدْهُمْ ما أبصروا في حالِكم
من عبْرةٍ للناس واستعبارِ

ومع تشابه تجربة العرب في فلسطين والأندلس، إلا أن العار الذي لحق بهم بضياع فلسطين أكبر، وأشد وطأة مما لحقهم بضياع الأندلس؛ لما تحتله فلسطين من مكانة دينية عند المسلمين، وعروبتها الموغلة في التاريخ⁽²⁾.

وقد ينفذ الشعراء من خلال قصيدة الرثاء الجماعي إلى وصف حال الأمة

(1) أحمد المصلح، ناصر الدين الأسد ناقدًا وشاعرًا، ط1، وزارة الثقافة، عمّان، 2002م، ص

(2) كامل السوافيري، الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين، ص 646.

المستكين، وإمعانها في البكاء، متخذين من فعل الشهادة المتصاعد وسيلة لإدانتها وإظهار تقاعسها، كما في رثاء محمود فضيل التل لشهداء مدرسة بلاط الشهداء العراقية حيث يظهر تسامي الفعل الاستشهادي عن عويل الأمة وخنوعها⁽¹⁾:

يُحكي بآثا أُمَّةٌ

قد أَفْلَحَتْ في كُلِّ شيءٍ

غير ألوان البكاء

هذا حديثُ شهيدةٍ وشهيدنا

من منهلٍ يُدعى بلاط المجد

أو من روضة الشهداء

لقد عكس رثاء الشعراء للأمة توحداً واضحاً بجسد الأمة، تلبس فيه الوطن بمعانٍ سامية، واتحدت من خلاله الذات الشعرية بالجماعة، ناطقة باسمها، وحاملة لهمومها، وما الوطن بمفهومه الواسع إلا اتحاد ساكنيه بحبيبات تراه.

لذلك جاء الشعر في الأردن معبراً عن هذه المعاناة، «يرتد إلى الذات وعليها، لبحث عن أسباب المأساة في الجبهة الداخلية للأمة، غير أنه لم يكن ذا طابع انهمامي، بل كانت تتجلى فيه أصوات الرفض بانفعالية وحدة بالغة، تتماشى مع شدة وقع الكارثة»⁽²⁾.

(1) محمود فضيل التل، وجدتك عالماً آخر، ط 1، مطبعة الشرق ومكتبها، عمان، 1988م، ص 78.

(2) زياد الزعبي، قراءات (مقالات ونصوص ثقافية)، ط 1، وزارة الثقافة، عمان، 2002م، ص 28.

إنّ رثاء الأمة جاء بالمقابلة بين ماضي عريق، وحاضر متخاذل ممّا أنتج حالة من الانكسار ورغبة في تجاوز المرحلة المعاصرة، وبناء وجدان الأمة المنهار واستعادتها لوحدتها، وحيويتها بين الشعوب.

2 . البعد القومي^(١)

• مفهوم القومية

إنّ الحديث عن البعد القومي في الشعر الأردني، يقود إلى الحديث عن القومية بمفهومها الخصب، وأبعادها الرحبة، فالقومية هي حبّ الأمة، والشعور بارتباط باطني نحوها، والوطن هو قطعة من الأرض، والأمة هي جماعة من البشر، الوطنية هي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تُعرف باسم الوطن، والقومية هي ارتباط الفرد بجماعة من البشر، تُعرف باسم الأمة^(١).

والقومية رابطة تربط جماعة من الناس، وهذا «يقتضي من كلّ واحد منهم أن يشعر بشعورهم، وأن يجد حاضره، ومستقبله موصولاً بحاضرهم، ومستقبلهم؛ لأنه يتكلم بلغتهم، ويتشرب ثقافتهم، ويشترك معهم في الأرض التي اتخذوها وطناً لهم، ويشعر أن كيانه القومي هو كيانه»^(٢).

(•) ورقة علمية محكمة قُدمت للمؤتمر الدولي المحكّم الذي عُقد في جامعة آل البيت بمناسبة المئوية الأولى للثورة العربية الكبرى، الأردن، 2016م.

(1) يُنظر: ساطع الحصري، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984م، ص 9.

(2) أحمد الحوفي: القومية العربية في الشعر الحديث، ط 1، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ص 6.

وهذا يعني أن القومية تأتي بمعنى العاطفة التي تؤثر في الإنسان، لتوجه التاريخ، وتشكله، مؤمنة بكيان الأمة العربية، وطابعها المتميز، وتعمل لتحقيق سيادتها، والنهوض بها في جميع المجالات.

والدين الإسلامي موصول بالقومية العربية، «لأنه اجتذب الشعوب إلى اعتناقه، وسهّل على العرب أن يُصاهروها، فامتزجت دماء العرب بدمائها امتزاجاً، كان الغلبة فيه للجنس العربي»⁽¹⁾.

ولعلّ الأحداث التي شهدتها العالم مطلع القرن العشرين، أسهمت في بزوغ الفكر القومي في وجدان المفكرين، والشعراء على السواء، إذ «نمت الفكرة القومية بشكلها الواعي، ومفهومها الحديث في أذهان مثقفي العرب الذين كانوا منتشرين في الأستانة، وباريس، والمهجر، نتيجة احتكاكهم بالقوميات الأخرى، واتّسع آفاقهم»⁽²⁾.

ولا ننسى أثر الحرب العالمية الأولى في نشأة التيار القومي في الشعر، إذ تمخضت عن بروز تيارين مهمين في الأدب العربي الحديث، «هما التيار الوجداني، والتيار القومي الاجتماعي، وقد كانا يسيران متصاحبين متوازنين، يتعانقان حيناً، ويتجافيان أحياناً، ولذلك كان لا بدّ للباحث في سبيل فهم أحدهما من فهم التيار الآخر؛ لأنهما كليهما يمثلان وجهين متقابلين، وقطاعين مضطربين لحياة عربية

(1) المرجع نفسه، ص 314.

(2) عمر الدقاق: الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ط4، دار الشرق العربي، بيروت،

1985م، ص 199 - 200.

وهذا يعني أن الرسالة القوميّة للشعر الأردني كانت حاضرة بقوة منذ البدايات الأولى للإمارة، وهي رسالة لا تناقض الرسالة الإنسانيّة، بل هي جزء منها، مما جعل الشعراء يصلون من خلال أشعارهم إلى ضمير الأمة التي أنبتتهم، فصوروا ما يهيم في وجدانهم من ثورة، وتطلّع إلى التحرر.

لذلك فإن هذه الدراسة تطبيق واضح لأثر الثورة العربية الكبرى في تحفيز شعور الشعراء القوميّ، وبعث الأمل بالوحدة في النفوس، ممّا عبّر عن صدق الانتماء، وعمق الأحاسيس، ووحدة الموقف العربي، وبخاصة فيما يتعلق بقضية العرب المصيريّة القضية الفلسطينية، حيث وظّف الشعراء المناسبات الوطنية، والقومية للدعوة إلى الوحدة العربية، ونبذ التخاصم، والارتداد إلى الثقافة العربية - بكلّ مقوماتها - لمواجهة قوى الظلم، والاستعمار.

وبحدوث نكبة فلسطين عام 1948م، وما ترتب عليها من تدفق آلاف الفلسطينيين إلى الأردن، أصبحت قضية فلسطين قضية العرب الأولى، وأصبحت بأبعادها السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية، المحور الرئيس للأدب في الأردن⁽²⁾.

ولعلّ من أهم ما ترتب على النكبة هو التمازج الكبير الذي حدث بين الشعب الأردني والفلسطيني، ممّا أعطى الحركة الشعريّة رافداً جديداً من الموضوعات والشعراء، فقد «ولد من رحم نكبة فلسطين عدد من الشعراء اتخذوا من النكبة

(1) عمر الدقاق: نقد الشعر القومي، ط1، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1978م، ص10.

(2) يُنظر: سمير قطامي، الحركة الأدبيّة في شرقي الأردن (1921 - 1948م)، ص83.

والوطن السليب مادة ثرة في أشعارهم، ييكون على الأرض، ويحنون إلى الأيام الخوالي، والذكريات الحلوة، ويدعون للشار، ويهاجمون الزعماء المتخاذلين، ويستثيرون الهمم، ويهجون الاستعمار، واسرائيل⁽¹⁾.

وبقيام وحدة الضفتين عام 1950م، يتحد الأدب على ضفتي النهر، ليعبر عن قضية واحدة، وهي قضية فلسطين، وليمرّ بظروف واحدة، فلم يكن ثمة مجال للتمييز بين الأدبين، وقد حدث التداخل والامتزاج بينهما لاعتبارات تاريخية، وجغرافية، وثقافية، حتى أصبحا أدباً واحداً، يُعبر عن وجدان شعب واحد، «وقد تشكّلت في السنوات الأولى لهذا الامتزاج أول بوّر للعمل السياسي، فكانت بدورها المقدمات الأولى لانتشار الفكر السياسي، ونشوء أحزاب سياسية من نوع جديد لأول مرة في البلاد»⁽²⁾.

وجاءت نكسة حزيران عام (1967م) التي كانت بمنزلة الزلزال العنيف الذي هزّ المجتمع العربي في كافة مناحي الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، فظهر الشعر الباكي الحزين الذي تسوده نزعة الحزن والتشاؤم، وجلد الذات، واليأس. وبرز الاتجاه القومي في الشعر بشكل واضح، ممّا أدّى إلى الالتصاق بالواقع، ومعالجة قضاياها، ووضع الشعر في دائرة الالتزام بقضايا الأمة، وتزاحم القصائد التي تحاول التغيير حتى أفرزت النكسة «جيلاً من الشعراء غاضباً على ما فات من الأمر،

(1) سمير قطامي: الحركة الأدبية في شرقي الأردن (1948 - 1967م)، ط1، منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي، عمان، 1989م، ص 67.

(2) سليمان الأزريقي: الشاعر القليل تيسير سبول، ط1، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1983م، ص 27.

يتأرجح ما بين اليأس والرجاء، ولكنه لم يطلب الثأر، بل طالب بالحق المضيع⁽¹⁾. ويمكن القول: إنّ معركة الكرامة عام 1968م عملت على تنشيط الحركة الأدبية في الأردن، وإمدادها بموضوعات جديدة، عبّر فيها الشعراء عن فرحتهم بهذا النصر، كما في أشعار خالد محادين، وعبد المنعم الرفاعي، ومحمد القيسي، ويوسف العظم، وحسني فريز⁽²⁾.

لذلك فإن الحركة الشعرية المعاصرة في الأردن قد أطلّت على الحياة في زمن حفل بكثير من الأحداث العظام، كان أبرزها الثورة العربية الكبرى التي فجرها شريف مكة الحسين بن علي طيب الله ثراه - في العاشر من حزيران عام 1916م، ليعلن بداية مرحلة جديدة في تاريخ العرب الحديث، مما جعل صدى هذه الثورة ماثلاً في فكر الشعراء، الذين مجدّوا قاداتها، وصوّروا طموحات الأمة في التحرر.

ولعلّ هذه الأحداث مجتمعة أسهمت في تنمية الاتجاه القومي في الشعر الأردني المعاصر، وبروز مبدأ الالتزام بشكل واضح في شعره، ليشكّل غرضاً شعرياً واضحاً، يظهر في قصائد مستقلة تارة، وينبعث من ثنايا القصائد ذات الموضوعات المختلفة.

وإذا كان للشعر بواعث خاصة به، حددها النقاد العرب بالرغبة والرغبة، التي تُلهم المبدعين، فإن الشعر في الأردن تجاوز ذلك إلى باعث آخر، أسهم في توهج نيران التلقي في النفوس، وصدر عن نفس تتوق إلى الحرية، ووحدة الصف، بعدما

(1) فواز طوقان: الحركة الشعرية في الأردن حتى عام 1977م، منشورات شقير وعكشة، عمّان، 1985م، ص 13.

(2) يُنظر: قاسم الدروع وآخرون، أدبيات معركة الكرامة، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، 1993م، ص 38 وما بعدها.

نفرت من حالة الفرقة، والتشرذم، ممّا جعل بعض أغراضه التقليديّة، كالمدح، والثناء، والوصف مثلاً تندرج تحت الاتجاه القومي، وهو مضمون شعري حديث، صاغته الأحداث الجسيمة التي مرّت بها الأمة.

وتشكّل الثورة العربية الكبرى بموروثها الخصب رافداً مهماً من روافد الشعر في الأردن، وهي ثورة ذات منزع قومي واضح، بل شكّلت أول حركة قوميّة حديثة شهدها العرب في العصر الحديث، جاءت بعدما اشتدت معاناة العرب، واضطهادهم على يد الأتراك، ممّا جعل قيامها حدثاً مدوياً في تاريخ العرب الحديث، ترك صداه في حركة الشعر، فنهض الشعراء مفتخرين بها، وداعين لاستمرارها، وممجدين مفجرها الشريف الحسين بن علي، وأنجاله من آل هاشم. فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية الكبرى عكس في شعره عنفوان هذه الثورة وجذوتها القومية الملتهبة، وهدفها الراسخ في تحرير العرب، والحفاظ على شخصيتهم وهويّتهم ووحدتهم، ممّا جعل صوته يشدو وصولاً إلى النهضة المأمولة التي تنقل الأمة العربية إلى مصاف الأمم المتقدمة، كما في قوله⁽¹⁾:

لِمَن المضاربُ في ظلال الوادي
رَبِّ الرّحاب تغصّ بالوراد؟
الله أكبرُ تلك أمةٌ يُعزُّبُ
نفرت من الأغوار والأنجاد
طوت المراحل! والأسنةُ شُرِّعُ
والبيضُ مُتَلَعَةٌ من الأغماد

(1) فؤاد الخطيب، ديوان الخطيب، ط1، دار المعارف، مصر، 1959م، ص520.

ومشّت تَدُكُ البَغْيِ مِشْيَةً وَاثِقِ
 بِـاللهِ، والتَّارِيخِ، والأَجْدَادِ
 لَبَّيْكَ يَا أَرْضَ الْجَزِيرَةِ واسْمِعِي
 مَا شِئْتُ مِنْ شَذْوِي وَمِنْ إِنْشَادِي
 لَكَ فِي دَمِي حَقُّ الْوَفَاءِ وَإِنَّهُ
 بِبَاقٍ عَلَى الْجِدْثَانِ وَالْأَبْدَادِ
 أَنَا لَا أَفَرِّقُ بَيْنَ أَهْلِكَ إِنَّهُمْ
 أَهْلِي، وَأَنْتِ بِلَادُهُمْ وَبَلَادِي
 وَلَقَدْ بَرَأْتُ إِلَيْكَ مِنْ وَطَنِيَّةٍ
 لَيْسَتْ تُجَاوِزُ مَوْطِنَ الْمِيلَادِ
 فَلِكُلِّ رَبْعٍ مِنْ رُبُوعِكَ حُرْمَةٌ
 وَهُوَ يَتَغَلَّغَلُّ فِي صَمِيمٍ فُؤَادِي

تري الدكتورة امتنان الصمادي في دراستها لشعر فؤاد الخطيب «أن الثورة العربية الكبرى كان لها أكبر الأثر في إنتاج العديد من المفاهيم الأيدلوجية وتشكيل الفكر السياسي للشعراء، فامتزجت قصائدهم بالحبس القومي والتعبير عن آمال الأمة من أجل خلق رأي عام يسهم في إنجاح الثورة وتحقيق أهدافها في الوحدة والحرية والحياة الفضلى»⁽¹⁾.

وهذا ما نجده في شعر إبراهيم المبيضين، حيث التغني ببطولات الجيوش العربية، وبيان أهمية الثورة في نهضة الأمة، واستشراف المستقبل بخطى واعدة،

(1) امتنان الصمادي، شعر فؤاد الخطيب في الثورة العربية الكبرى والهاشميين (جمع ودراسة)،

ط1، منشورات وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة، 2010م، ص52.

بعدما هبّ أحرار العرب للدفاع عن عروبته، حيث يقول⁽¹⁾:

تنادى العرب من كلّ النواحي
ومن أقطارهم نفروا وجاءوا
فمن سورية الكبرى توالى
مواكب بعد طول الكبت فاءوا
ومن قمم الشراة وأرض حسما
قبائل أقبلت وبها كفاء
من النجف الشريف أتت تباعاً
فوارس ثائرون لهم حذاء
أعارب خلص عشقوا المعالي
إلى الحرية الحمرا ظمءا

لذلك فإن الاعتزاز بنبض الثورة العربية القومي، وأهدافها التحررية التي تحفظ للأمة وجودها مرتكز واضح في شعر إبراهيم المبيضين القومي، جعله يُعظّم جيوش الثورة، ويفتخر بانتسابها للأمة العربية بقيادة الهاشميين، حيث يقول⁽²⁾:

خميس قرشي عزيز كماله
من العرب لم يُنسب إلى أمة أخرى

(1) حسن المبيضين، وفوزي الخطبا: إبراهيم المبيضين حياته وشعره، ط 1، مطابع الإيمان، عمان، ص 89.

(2) المصدر نفسه، 117.

مجيدٌ ومجدُّ الهاشميين مجدُّه
تسامى بما أسدوا له واعتلى قدرا
من النشأة الأولى تمسك باسمه
وما زال هذا الاسم يملؤه فخرا
قوي أبي لا تليق قناته
ولا يرتضي إلا لقاءه أمرا
رهيبٌ مهيبٌ يعتري ساحة الوغى
إذا الشر أبدى ناجذيه واستشرى
تزلزل الجبال الراسيات ببأسه
له عزمات فذة تسحق الصخرا

إذ يصور لنا الشاعر حالة المد القومي التي مثلها جيش الثورة العربية، فهو جيش منظم، ذو قيادة واحدة، ويسعى لهدف واحد، هبّ للدفاع عن العروبة، ومطالباً بالحرية، والاستقلال.

ولعلّ الحديث عن جيش الثورة العربية، قاد إلى تمجيد قادتها، والإعلاء من شأنهم، إذ يحتفظ الشاعر للملك فيصل بن الحسين بمكانة مميزة، تناجيه الأمة كلما اشتدت بها الخطوب، حيث يقول معدداً إنجازات الملك فيصل، التي كانت قيادة جيش الثورة العربية في مقدمتها⁽¹⁾:

قائد الجيوش بحنكة وبسالة
في الثورة الكبرى على الأعداء

(1) المصدر نفسه، ص 87.

ما كان غدر حليفه ليعوقه
عن أن يسود العرب دون عناء
فأقام مملكة ووحد شعبها
رغم اختلاف العرب والأسماء
سعدت به واسترجعت أمجادها
وأعاد فيها أعصر الخلفاء

فالشاعر يرسم صورة ناصعة للقائد الذي تنشده الأمة، فهو قائد محرر، يمتاز بالحنكة، والشجاعة، فضلاً عن العزيمة القوي، ورباطة الجأش، استطاع أن يتجاوز غدر الحلفاء للعرب، وتنصلهم من العهود التي قطعوها لقائد الثورة العربية الشريف الحسين بن علي - طيب الله ثراه - فأقام الدولة، وأنشأ البنيان، بعدما تمسك بحق العرب في وطنهم، وتوحيده للأمة.

وهذا يتجاوز مع رسالة الشعر القومي الإعلامية، فهو في معركة مع القوى الاستعمارية، يحارب في عدة جبهات مختلفة، تلتقي جميعها عند هدف واحد، وهو حث الأمة على الاستماتة في طلب الحرية، والاستقلال، وعلى مضاعفة الجهود في التخلص من عوامل الفرقة، التي تقف عائقاً دون الوحدة.

وينهل حسني فريز في قصيدته «الثورة العربية الكبرى» من فكر الشريف الحسين النهضوي، وسعيه الدؤوب لوحدة الأمة العربية مقاوماً أحقاد المستعمر وسعيه إلى فرقة الأمة، حيث يقول مخاطباً الشريف الحسين بن علي طيب الله ثراه⁽¹⁾:

(1) حسني فريز، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2002م، ص 421 -

الوحدة الكبرى سبيلك إنما
 غدر الحليف وضلت الأفهام
 ووقفت أعظم ما تكون ولم تلن
 والجو حولك والطريق ضرام
 لم تخش بأس الناكثين وقد بدا
 وعلوت أنت السيد المقدام
 أنا لن أفرط في فلسطين ولو
 ضاع اللواء وغيب الصمصام
 لن يكتب التاريخ لابن محمد
 إلا إباءاً أيها الظلام
 ويجعل عبدالمنعم الرفاعي من إعلان دولة الاتحاد العربي (الأردن والعراق)
 سنة 1958م مناسبة للتغني بالثورة العربية الكبرى ومبادئها النبيلة التي تسعى لوحدة
 الأمة وانتفاضتها في وجه المحتل، حيث يقول⁽¹⁾:

ثورة كلما عفت زمناً
 أيقظت عرازم بكراً
 عربي النضال ما خمدت
 شعلته ولا خبأ شراً

(1) عبدالمنعم الرفاعي، شعر عبدالمنعم الرفاعي، جمعه وحققه وقدم له الدكتور إبراهيم الكوفحي، ط 1، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، 2003م، ص 72.

وما يزيد مرور الزمن الثورة العربية الكبرى إلا توهجاً؛ لأنها دائمة الانبعاث في الأمة، تمدها بما تحتاجه من أسباب النهوض والمقاومة؛ لإحداث التغيير المطلوب الذي ينشده المواطن العربي بعيداً عن أسباب الفرقة والانزлам.

وفي شعر الملك عبدالله الأول ابن الحسين ما يؤكد أحقية بني هاشم في حكم العرب، وفكرهم الخصب الذي يدعو إلى الوحدة العربية، هذا الفكر الذي اختطه الشريف الحسين بن علي - طيب الله ثراه - في ثورته على الظلم والطغيان، كما في قصيدته «وسيروا على نهج الحسين» حيث يقول⁽¹⁾:

ولقد عُرِفْتُ أسلافكم في بلادهم
يُحَامُونَ عَنْ أَحْسَابِهِم بِالْأَعْنَةِ
كغالبٍ أو كإبنٍ لِعَوْنٍ مُحَمَّدٍ
ملوك البطاح السابقين الأجلّة
فسيروا على نهج الحسين إمامكم
فإن أنتم سررتم فليس بميت

أمّا الشاعر حيدر محمود فقد شكلت الثورة العربية الكبرى رافداً مهماً لشعره القومي، بعدما وجد في هذه الثورة ما تصبو إليه الأمة من رغبة في التحرر والانتعاق من قيود المستعمر الذي طالما عاث في جسد الأمة فساداً، إذ دعا الشاعر إلى وحدة الأمة وضرورة قيام كيان عربي موحد، ممّا منح شعره دلالات قومية عميقة ذات أبعاد إنسانية واضحة، كما في ديوانه «عباءات الفرح الأخضر» الذي جعله قصائد

(1) عبدالله الأول ابن الحسين، خواطر النسيم (شعر الملك عبدالله الأول ابن الحسين)، جمع وتحقيق ودراسة خلف النوافلة، ط 1، الجزء الأول، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2002م،

خالدة في الهاشميين وإنجازاتهم عبر التاريخ، ففي قصيدة (رُدَّهَا عَرَبِيَّةً..) التي يهديها إلى شيخ الثوار الحسين بن علي« ونظمها في ذكرى الثورة العربية الكبرى، نجده يقول مستلهمًا فكر الثورة العربية الكبرى المقاوم⁽¹⁾:

يا سيفَ هاشمٍ..

رُدَّهَا عَرَبِيَّةً.. قرشيَّةً..

وافتحْ بِسَيْفِكَ بابَهَا!

وافرِدْ عِباءَتَكَ الشَّرِيفَةَ،

خِيمةً..

ياؤوي إليها العاشقون

رِحَابَهَا!

الحافظونَ عَهْدَهَا..

والحارسونَ حَدودَهَا

والرافعونَ قِبابَهَا..

القانونَ بتربها

كي لا تَرى نَفْسٌ، على أَحسابِهِمْ

أَحسابَهَا!

والشاربون الصابَ:

كي لا يشربوا كأسَ الهوانِ،

وما أَمَرَ شَرابَهَا!

(1) حيدر محمود، عبااءات الفرخ الأخضر (قصائد في آل البيت)، ط1، منشورات أمانة عمّان

الكبرى، 2007م، ص 135 - 136.

إذ يكشف الشاعر في هذه القصيدة عن فكر الثورة العربية الكبرى، ونبضها الحيّ وهدفها في تحرير الأمة من الذل والهوان الشاعر يسترجع في هذه القصيدة بآلم ذكريات الثورة العربية الكبرى بعدما رأى ما آل إليه حال الأمة من ذل وهوان، وفرقة وضياع، كما في قوله⁽¹⁾:

يا سيّد الصحراء،
طالَ غيابُها عنا..
وكنّا دائماً أحبابَها
ونُحبُّها..
إنْ أخَصَبْتُ،
أو أجْدَبْتُ،
ونراهُ كُحْلاً للعيونِ
يَبابِها!
والنَّائِمُونَ
على حَرِيرِ ثيابِها
عُصَابُها..
والسَّارِقُونَ ثيابَها!
ولو أنّها شَحَّتْ
«منايِعُ نفطِها»
يوماً،
لمزّقتِ الكلابُ كلابَها!!
يا سيّد الصحراء،

(1) حيدر محمود، عبااءات الفرّح الأخضر (قصائد في آل البيت)، ص 137 - 139.

قُلْ لِرِيَّاحِهَا هُبِّي
وَأَرْسُلْ يَا سَحَابُ سَحَابَهَا
وَزَلْزَلِي يَا أَرْضُ
حَتَّى لَا تَرَى
غَيْرَ الَّذِينَ يُقَدِّسُونَ
تُرَابَهَا!
لَا الْعَابِرِينَ عَلَيْهِ:
جِسْرَ مَطَامِعٍ!!

وفي قصيدة (يا صباحَ استقلالنا..) يُبرز حيدر محمود فكر الثورة العربية الكبرى
النهضوي الذي يسعى إلى حماية الأمة، وصون منجزها، وبعث أمجادها، والدفاع
عن حياضها، حيث يقول في الاحتفال بعيد الاستقلال عام 2006 م⁽¹⁾:

هذه الواحة التي تجمّع الأمم
في ظلّها.. وتحتّ لواها
فلقد كان نخلها -مُنْذُ أَنْ كَانَ-
ملاذاً للمُحتَمي بِحمّاها
مثلما كان دائماً سَعْفُهَا السَّيْفَ
على كُلِّ ظالمٍ عَادَاها
إنّها الواحة التي كَلَّمَا امتدَّ
بها العُمُرُ.. صار أحلى جناها

(1) حيدر محمود، عباوات الفرح الأخضر (قصائد في آل البيت)، ص 39.

ثم يُخاطب الشاعر جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين - حفظه الله - مبيّناً استمرار رسالة الثورة العربية الكبرى، وانبعاثها في فكره، بعدما أضحت منارة تضيء طريق الأحرار كلما اشتد بالأمّة الظلام، حيث يقول⁽¹⁾:

سَيِّدِي، سَيِّدَ النَّشَامِي، لِعَبْدِ اللَّهِ
شَمْسٌ يَشْعُ مِنْكَ ضِيَاها
وَالْحُسَيْنُ الْحَبِيبُ فِيكَ مُقِيمٌ
وَتَرَانَا عَيُونُهُ.. وَتَرَاهَا
يَا سَمِيَّ الْعَظِيمِ، بِوَرِكَ الْإِسْمَانِ
فَكُنْ شَيْخَ أُمْتِي.. وَفَتَاهَا!

ويفخر سعيد يعقوب بالثورة العربية الكبرى التي يجد صوتها مدويّاً بعد مضي مائة عام على انطلاقتها؛ لما تحمله من فكر نهضوي، وتبعثه من رسالة العدل والمساواة، فهي ما زالت متوهجة بما تقدمه من قوافل شهداء يمضون في سبيل أمتهم، كما في قوله⁽²⁾:

ثَوْرَةُ الْعُرْبِ التِّي قَامَتْ عَلَى
مَنْهَجِ الْحَقِّ وَنُورِ الشُّهَدَاءِ
تَجْمَعُ الْعُرْبُ وَتُعَلِّي شَأْنَهُمْ
كُلُّهُمْ فِيهَا سَوَاءٌ بِسَوَاءٍ

(1) حيدر محمود، عباءات الفرح الأخضر (قصائد في آل البيت)، ص 45.

(2) سعيد يعقوب، نسيمات أردنية، ص 150 - 151.

رَايَةُ الْوَحْدَةِ تَجْتَازُ الشُّهَاهَا
تَحْتَهَا يَسْمُو جَبِينُ الْكُرْمَاءِ
أُمْتِي فِي شِرْعَتِي وَحِدَةٌ
وَلَهَا رَوْحِي وَجَبِّي وَانْتَمَائِي
وَفُؤَادِي بِهِوَاهَا نَابِضٌ
مَسْلَمٌ حُرٌّ غُرُوبِي الْوَلَاءِ
وَالْمَسِيحِيُّ أَخٌ لِي مُرْجَتٌ
فِي ثَرَاهَا بَدَمٌ مِنْهُ دِمَائِي
وَخُدَّةٌ تَجْمَعُ فِي مَا بَيْنَنَا
إِنَّمَا الْوَحْدَةُ دَرْبُ الْأَصْلَاءِ

لذلك كان استدعاء مخزون الأمة وإرثها الحضاري وسيلة لبعث الثورة من جديد؛ لأن التغيير ملازم للثورة في الفكر الإنساني، وكثيراً ما مثلت الثورات الكبرى في حياة الشعوب أدوات للتغيير عبّر عنها الأدب الذي تتجه الثورة بوصفها موضوعاً للأدب وسبباً للتغيير، كما في قول سعيد يعقوب⁽¹⁾:

فَانْفُضِي يَا أُمْتِي عَنْكِ الْوَهْيَ
نَفَضَ ثَوْبٍ مِنْ غُبَارٍ فِي الْهَوَاءِ
وَاسْتَفِيقِي مِنْ غَيَابَاتِ الْكَرَى
أَرْجَعِي عَهْدَ الْجُدُودِ الْعُظْمَاءِ

(1) سعيد يعقوب، نسيمات أردنية، ص 154 - 155.

وابعثني الثَّـوْرَةَ تَبْنِي دَوْلَةً
تَنْشُرُ الْعَدْلَ وَتَسْمَعِي لِلرَّخَاءِ

وهذا ما جعل الشاعر يتغنى بوحدة الأمة العربية وبماضيها المجيد رافضاً الحدود الوهمية التي وضعها المستعمر داعياً إلى ثورة توحد العرب، وتعيد للأمة كرامتها، حيث يقول⁽¹⁾:

هَذِي الْحُدُودُ الَّتِي فِي وَجْهِنَا وَقَفْتُ
لَيْسَتْ بِعَيْنِي سِوَى ضَرْبٍ مِنَ الْكَذِبِ
وَسَوْفَ تَهْدِمُهَا الثَّوَرَاتُ إِنْ عَصَفَتْ
نِيرَانُهَا، وَأَفَاقَتْ أُمَّةُ الْعَرَبِ

لقد تجلّى التزام الشعراء بقضايا أمّتهم في تصويرهم لمأساة فلسطين، وهي مأساة ماثلة في الوجدان العربي منذ بدايات القرن العشرين، عندما منح بلفور (وزير خارجية بريطانيا آنذاك) وعده المشؤوم لليهود عام 1917م بإقامة وطن قومي لهم على أرض فلسطين، ممّا جعلها قضية العرب الأولى، حيث تعددت رؤى الشعراء في تصويرهم لفلسطين ووطنًا وقضية، ممّا جعلها تمثل محوراً مهماً من محاور الشعر العربي الحديث، ارتبط بها استدعاء الشعراء لرموز تراثية تمثل التحرر والبطولة، وظل «جرحها لا يهدأ، والدمع عليه لا يرقأ»، والجهاد لاستردادها

(1) سعيد يعقوب، رعود وورود، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، 2012م، ص51.

موصول، لا ينقطع، حتى تعود إلى العرب، أو يعود إليها العرب»⁽¹⁾.
وفي حقيقة الأمر قدّمت قضية فلسطين للشعر العربي زاداً لا ينضب، فهزت
ضمائر الشعراء العرب في كل مكان، «وأنطقتهم بشعر غزير، وأوحت إليهم بصور
شعرية لا نهاية لها»⁽²⁾.

وفي الشعر الأردني شكلت القضية الفلسطينية بُعداً واضحاً، وذلك بحكم
الجغرافيا، وصلات القربى، إذ «تنبه الشاعر الأردني لما أصاب الأمة من تصدّع،
وانكسار، وهوان، وضياع للحقوق، وجموح القوى الظالمة على كرامتها، وتعدّيها
على أعزّ مقدساتها، وتشريد، وتعذيب، وتقتيل أبنائها، ورفع صوته محذراً، واعتلى
منابر الكلمة، يثور الهمم، والعزائم؛ لمواجهة الخطر المحدق، والآتي، وتقديم
الروح قبل المال للدفاع عن الأرض، والإنسان، ومقاومة الدخيل الغازي،
والمستعمر الباغي، والوقوف بصلافة أمام المشروع الصهيوني الاستيطاني»⁽³⁾.
ومما يلاحظ في الأشعار التي تصور مأساة فلسطين، أنّها دائمة الدعوة إلى
الوحدة، واستنهاض همم العرب، حيث يلجأ الشاعر إلى رسم صورة لليهود، تجمع
بين التنفير منهم، والتحذير من طباعهم الخبيثة، كما في قول إبراهيم المبيضين⁽⁴⁾:

(1) أحمد الحوفي: القومية العربية في الشعر الحديث، ط 1، دار نهضة مصر للطبع والنشر،
القاهرة، د.ت، ص 185.

(2) صالح الأشر: مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ط 1، مطبعة جامعة دمشق، 1961م،
ص 14.

(3) نايف النوايسة: فلسطين في الشعر الأردني، ط 1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان،
2002م، ص 35.

(4) حسن المبيضين، وزميله: إبراهيم المبيضين، حياته وشعره، ص 117.

ففلسطين بأيدي طغمة
جردت من كل حسٍ وشعور
غير حبّ الغدر لم نعرف لها
خلعة بينة طول العصور
لم تزل سادرة في غيها
تسلب الأرض وتعبدو وتجور
تقتل الآمن لا ممن وازع
من خلاق أو خلال أو ضمير
إن رمينا طلقة واحدة
البوا الدنيا ولجّوا في النكير
أو أحبنا رجلاً من جندهم
شمروا للثأر في وقت قصير

وقد تأتي الدعوة إلى التحرير والوحدة أكثر صراحة ووضوحاً، وبخاصة عندما تقترن بحادثة جسيمة، كمحاولة اليهود حرق المسجد الأقصى، التي استثارت عاطفة الشاعر، فهبّ مستغيثاً بالمسلمين لنصرة فلسطين، وتحرير المسجد الأقصى من الاحتلال، بعدما طالت نيران المعتدين مقدسات المسلمين، حيث يقول⁽¹⁾:

يا بني الإسلام هذا يومكم
واجهوا في نخوة هذا البلاء

(1) المصدر نفسه، ص 87.

انقذوا الأقصى وصورونا قدسه

واعادوا ما استطعتم للقاء

افبعد المسجد الأقصى لكم

ندحة عن خوض أحواض الفداء

إنه مهوى قلوب الحنفاء

إنه مسرى إمام الأنبياء

لذلك فإن الشعراء في الأردن لا يتوقفون في قصائدهم عن بعث الأمل بالنصر في النفوس، متجاوزين خطرسة العدو، وعدوانه المستمر، مما يُظهر إيمانهم المطلق بنصر الله لعباده المؤمنين.

3 . البعد الوطني

يقع الهم الوطني خارج دائرة الذات المفردة (الأنا)، وتحت تأثير دوائر مختلفة، تنتشر بين الأنا والآخر بكلّ محمولاتها الفكرية، وذلك «في سياق علاقة جدلية تحدد شكل القصيدة، ومستوى الإبداع، وحجم الطاقة التعبيرية في العمل الشعري»⁽¹⁾.

(1) سمير قطامي وآخرون، الشعر في الأردن (وموقعه من حركة الشعر العربي) أوراق ملتقى عمان الثقافي الخامس، منشورات وزارة الثقافة، عمان، بحث بعنوان الهم الوطني في الشعر الأردني (نقيض التجربة) للدكتور سليمان الأزري، ص 65.

وتتداخل الوطنية بالقومية، إذ يصعب وضع حدود فاصلة بين البعدين؛ فالقومية هي حبّ الأمة، والشعور بارتباط باطني نحوها، والوطن هو قطعة من الأرض، والأمة هي جماعة من البشر، الوطنية هي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض، تُعرف باسم الوطن، والقومية هي ارتباط الفرد بجماعة من البشر، تُعرف باسم الأمة⁽¹⁾؛ لذلك نجد حبيب الزبيدي يتحدث عن فلسطين بوصفها وطن الجميع، وقضية العرب المصيرية، حيث يقول⁽²⁾:

هذي بلادي، بلاد الذاهبين غدا
إلى فلسطين كي تزهو روايبها
طالت جراح فلسطين التي انتظرت
ولوّث السفّل الأوغاد واديها
على المآذن من طغيانهم شجنٌ
وعذبتها جراحات تقاسيمها

ممّا جعله يتغنّى بإرث الثورة العربية الكبرى في قصائده، حيث يقول⁽³⁾:

هذي بلادي بها الأحرار قد طلّعوا
أقمار حق أضواء في دياجيهها

(1) انظر: ساطع الحصري، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984 م ص 9.

(2) حبيب الزبيدي، ناي الراعي، ط 1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2002 م، ص 267.

(3) حبيب الزبيدي، ناي الراعي، ص 266 - 267.

وعطروا بالدم القاني مدائنها
وزينوا بأمانهم بواديها
وعلموا الناس أن الموت أغنية
كان الشهيد بايمان يُغنيها

ولا ينفصل البعد الوطني في شعر محمود التل عن وجدانه القومي، فهو دائم الشوق للوطن العربي، وبخاصة فلسطين التي لم تغادر شعره، بل بقيت قضيتة الأولى، ولا عجب في ذلك فالشاعر ينظر إلى الوطن العربي على أنه وطنه الكبير، ممّا جعل التداخل يبدو واضحاً بين الوطنية والقومية في شعره. لذلك نجد خطاب الشاعر الوطني محملاً برؤى قومية، تجعل من الأردن موئلاً للأحرار، ومنطلقاً للتحرير، كما في قوله⁽¹⁾:

ففي العروبة تعلو فيك هامتنا
وللقضية دوماً كنت عنواننا
بيت العروبة للأحرار موطنهم
يروون صدرك إنجيلاً وقرآناً
عمّان والقدس عندي آيتا حلم
إذا صحت حسبتُ القدس عمّاناً

(1) محمود فضيل التل، تحت جناح الليل، ط 1، مطابع الدستور التجارية، 2011، ص 134 -

هي السماء على الدارين واحدة
إذا ظمئنا سحابُ القدس أسقانا
يا ليت أمتنا تصحو على عجل
كي لا تظل إلى الأعداء قربانا

ويعتزّ الشاعر بمواقف الأردن المساندة للشعب الفلسطيني، وتضحيات أبنائه في سبيل التحرير، ممّا يُرسّخ في الذاكرة الوطنية بطولات فداء خالدة، كما في قوله⁽¹⁾:

إلى فلسطين حيّا الله وقفنّا
في القدس مهما طغوا نزداد إيماننا
في المهدي في ساحة الأقصى مواجهنا
وفي فلسطين لا ننسى ضحايانا

ويتغنّى الشاعر بالثورة العربية الكبرى، ودورها القومي في توحيد الأمة، إذ لم يتنه شعر الثورة «بانتهاؤ معارك الثورة، وموت الشريف حسين بن علي، بل بقي الشعر يقوم بدوره في إيقاظ ذكريات الثورة حيّة في نفوس العرب، يذكرهم بالثورة الأولى، الثورة الأم، ويُشيد بها، وبأهدافها، ويجدّد عهدا، ويمجد بطلها، وقائدها. وبقيت ذكرى الثورة في مخيلات الشعراء، ونفوسهم حيّة، سواء في ذلك من أدرك الثورة، أو من لم يدركها»⁽²⁾.

(1) محمود فضيل التل، تحت جنح الليل، ص 135.

(2) تركي المغيص، صدى الثورة العربية الكبرى في الشعر، ط 1، منشورات وزارة الشباب، عمّان،

1989م، ص 124.

وهذا ما جعل محمود التل يستدعي موروث الثورة العربية الكبرى في ذكرى استقلال الأردن؛ ليجعل منه منطلقاً لتحرير فلسطين، وتوحيد الأمة، إذ يقول⁽¹⁾:

يا أردنَ الخير قامت فيك نهضتنا
وثورة العُرب قد شاءتكم ميدانا
والشمس تسطع في كلّ البلاد وإن
غابت مساء بها تشفق عمّانا
فاهناً بعيدك يا أردن واصغ لنا
لاتنس يا سيد الأوطان مسرانا

لذلك نجد الشعراء في الأردن دائمي التغني بالمكان الأردني؛ لما يحمله من إرث حضاري وفكري، يمتدّ إلى جذور التاريخ، فضلاً عن أنّه شاهدٌ على بطولات الثورة العربية الكبرى التي دارت كثير من معاركها على الأرض الأردنية. «إذ انطلقت في الأول من تموز من عام 1917 العمليات العسكرية من جنوب الأردن» ثلاثمائة يوم استغرقتها عمليات الثورة العربية الكبرى فوق الأرض الأردنية، فقد ابتدأت يوم الأول من تموز عام 1917م وانتهت من حيث المبدأ يوم 2/1 من عام 1918م حين انسحبت القوات التركية من معان نحو الشمال ولتواجهها قوات الإنجليز في زيزيا لتكون هذه آخر المعارك فوق الأرض الأردنية، ولكن بعد أن خاضت قوات الثورة العربية أكثر من ثلاثين معركة مختلفة⁽²⁾.

(1) محمود فضيل التل، تحت جنح الليل، ص 136.

(2) بكر خازر المجالي، المسارات العسكرية للثورة العربية الكبرى في الأرض الأردنية (دراسة ميدانية وثائقية) ط1، 2003م، إصدارات جامعة الحسين بن طلال، معان، ص 9.

فوجد حيدر محمود يتغنّى بإرث مدينة الكرك الخالد، وسطوتها في الوجدان الشعري، فهي نبض الفؤاد، ومبعث الغرام، تحتفظ بالقداسة، والمقام العالي الذي ينشده العشاق؛ طلباً للتضحية، والفداء، ممّا جعلها تجمع بين سمو الحياة، وروحانية الخلود، حيث يقول⁽¹⁾:

يا جَنُوبَ الفؤادِ.. أَمَعْنُ كما شئتَ
هياماً به، وأمعنُ غراماً
وتَدلُّ عليه، فهو الجنووبيُّ
الذي في هواك صلّى وصاماً!
كَرَّكَ الطيّبين كانت مُقاماً
للندی والفدا.. وتبقى المُقاماً!

أما حبيب الزبودي فيصور حادثة تحطم طائرة الشهيد فراس العجلوني جاعلاً منها نَسْراً يهبط على الأرض، ليخطّ في ذاكرة العروبة معاني التضحية والفداء، ويحمل أمانى الوطن وأحزانه، لتنمو بين ذرات التراب⁽²⁾:

نهارٌ مِنَ النارِ
غطّى القتائم جراحِي
وحطّ على الرملِ نسرٌ قَتِيلٌ
يخبئ في قلبه برتقالٌ أريحا
وينثر آذارَ فوقِ جبالِ الكركِ

(1) حيدر محمود، القصيدة المؤابية، صحيفة الدستور، 23/ كانون الأول، 2006م، ص 24.

(2) حبيب الزبودي: ناي الرّاعي، ص 137.

ولعلّ في استخدام الشاعر للفعل (حطّ) تعبيراً واضحاً عن شموخ هذا النسر، وعنفوانه، فهو يحتضن الآخرين تحت جناحيه، ويبعث في الأرض الخصب والحياة.

والمتمأل في شعر حيدر محمود يلمس سيطرة الخصوصية الوطنية على قصائده، بل هي سمة تكاد تكون ملازمة لمضامينه الشعرية التي تنطلق من رسالة الالتزام بقضايا الوطن، وهموم ساكنيه، وتنبض بالانتماء لترابه الطاهر.

والوطن حاضر في شعر حيدر محمود ببعديه المادي والوجداني، فهو الحصن المنيع، ومصدر إلهام متجدد، إذ يمتلك المكان طاقة انبعاثية قادرة على تجاوز حدوده الواقعية، فهو أكبر من كونه حيزاً، إنه «كون حقيقي بكلّ ما للكلمة من معنى»⁽¹⁾.

وهذا جعل البعد الوطني الماثل بالمكان مكوناً مهماً للعملية الإبداعية، تنتقل به من كونه عالمًا ملموساً إلى أبعاد ذهنية يُبدعها الفنان، برؤاه الاستشراقية، وهذا يعني أن العمل الأدبي حين يفتقد المكانية، يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته⁽²⁾.

وديوان حيدر محمود الأخير «عباءات الفرح الأخضر» خير شاهد على اتقاد الروح الوطنية في قصائده، وجعلها محوراً مهماً، تنطلق منه الأفكار، وتتسق من خلاله الجمل في بنى نصية قادرة على حمل المضمون، ونقله إلى المتلقي وفق عملية اتصال واضحة الرؤى، وجليّة المعاني.

ولعلّ عشق الشاعر للهاشميين يشكّل مشهداً بارزاً في شعره الوطني، ولا عجب

(1) جاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط1، دار الجاحظ، بغداد، 1980م، ص42.

(2) المصدر نفسه، مقدمة المترجم، ص6.

فالهاشميون منذ القدم صانعو تاريخ وحضارة، سادوا بالمكارم والأخلاق لا بالمدح والألقاب، وهي حقيقة يُبرزها الشعر في الأردن؛ ليرسم من خلالها صورة ناصعة لنضالهم في سبيل أمتهم، لذلك نجد حيدر محمود يشدو في أشعاره الوطنية بحبّ الهاشميين، ونضالهم في سبيل أمتهم، حيث يقول مخاطباً جلالة الملك عبدالله الثاني ابن الحسين: ⁽¹⁾

لقد ورثت عن الآباء رِقَّتَهُمْ
وبأسَهُمْ.. فتلاقى السَّهْلُ والجَبَلُ
أرى غداً فيكَ، لا بَلْ بعده، وأرى
عيونَ أمتنا بالعزِّ.. تكتحلُّ
الأردنيون حول العرشِ، تحرسُهُ
سُيُوفُهُمْ.. وعليه تَسْهَرُ الأَسْلُ

مما جعل الوطن يتشكّل وفق هذه العلاقة العشقيّة التي تتجسّد في تشبيهات الشاعر الخصبة، وكأنّه يرسم الوطن الأجل الذي يراه بعيني عاشق لا تغمض، حيث يقول متغزلاً بوطنه: ⁽²⁾

جبينك للمجدِ بوابةٌ
تَرِفُ عليها بنودُ العُلَى
وأهدائك التُّجَلُ:
خيمةٌ عزٌّ..

(1) حيدر محمود: عباءات الفرح الأخضر، ط1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2007م، ص16.

(2) المصدر نفسه، ص21.

كتبنا على صدرها: يا هلا

تباركت يا وطني موئلاً..

والوطن في شعر حيدر محمود يتسامى فوق كل الرغبات الخاصة، تتحدّ فيه الآننا
بالآخر في حالة تشكّل فطري لوطن يتغنى بأمجاد قائده، ويتشع برؤاه السديدة،
حيث يقول⁽¹⁾:

صباح الخير..

يا رمزاً عشقناه

ويا ملكاً غداً وطناً،

ويا وطناً.. غداً ملكاً،

يُوحّدنا الحمى معه..

ليصير نحن..

ونحن نصير إياه!

ويجعل حيدر محمود من الإرث الهاشمي مصدر إلهام شعري، وبوح وجداني
خصب، يُشعل وهج الذات، ويجعلها في حالة انبعاث مستمرة، وبخاصة أن الشاعر
في قصائده الوطنية يقدّم لنا نموذجاً واضحاً لوحدة الموضوع الشعري، الذي
يسجل حالة النفس في علاقتها مع الآخر، إذ يلعب الموضوع الشعري دوراً مهماً في
بعث التجربة الشعريّة، وإخراجها في بنية نصيّة تتأثر بصدق الشعور، وتدفق العاطفة،
وبخاصة عندما يكون موضوع القصيدة واحداً، إذ يبدو أكثر اتساقاً، وأقدر على

(1) المصدر نفسه، ص 60 - 61.

التأثير في الآخرين، ذلك أن، «التجربة ذات المغزى هي التي لا يدخل فيها شيء بمحض الصدفة، بل يكون كل جزء منها متلائماً، ومتصلاً بسائر الأجزاء»⁽¹⁾.

لذلك نجد أشعار حيدر محمود الهاشمية تصبُّ في هذا الاتجاه الذي يوحد الرؤى، ويبعث الآمال في النفوس، بعدما أصبح الواقع مصدر إلهام، حيث يقول:⁽²⁾

فإنَّ القريضَ نبضُ الفؤادِ
مُنذُ كانوا..

كان البهَاءُ وَعَمَّتْ
بركاتُ السَّماءِ كُلَّ البوادي..
مأوهم أَوَّلُ الشَّرَابِ..
وزادُ الخيرينَ الكرامِ
أكرمُ زادٍ..

لذلك فإن وطنية حيدر تتجاوز فضاء الأنا لتحلّق في سماء الوطن، وتعانق وجدان المتلقي؛ لتمنحه حالة هيام خاصة، بعيداً عن المطاعم الآنيّة، لتعلن عن حالة عشق خاصة، حيث يقول:⁽³⁾

ونحنُ نحنُ..
سواءُ أمطرتُ ذهباً
سواءُ أوطاننا،

(1) لاسل كرمي: قواعد النقد الأدبي، ترجمة محمد عوض محمد، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م، ص56.

(2) عباات الفرح الأخضر، ص72.

(3) المصدر نفسه، ص85.

أَوْ سَدَّتِ الرَّمَقَا!
فليس يَجْمَعُنَا خَوْفٌ
ولا طَمَعٌ
لكِنَّه العِشْقُ..
والدُّنْيَا لمن عَشَقَا!!

ويُشكِّل قصر رغدان العامر رمزاً لحضور الهاشميين الخالد، وانبعاثهم الخصب، وإرثهم العظيم، فهو بيت كلِّ الأردنيين، وموئل الأحرار، ومجلس الأدباء، شهد انطلاقاً المدَّ الحضاري لمدينة عمَّان في العصر الحديث، ممَّا أكسب المكان بُعداً جمالياً واضحاً، وحالة نشوة دائمة التجدد، ترتبط بأفراح الأردنيين، وحبِّهم لآل هاشم، ولا عجب فقد غرس قصر رغدان في الوجدان الشعري ما يمكن أن يبعثه المكان من رؤى إيجابية، وما يستدعيه من ذكريات النشأة، وأمل التحرير، والوحدة، كما في قوله⁽¹⁾:

عَبَقْ..

يَفْوَح شَذَاهُ مِنْ «رَغْدَانٍ»
وبِذَاكَ الصَّرْحِ المَنِيعِ،
وبالذي فيه،
من التَّسْبِيحِ، والقُرْآنِ
تَزْهُو على الدُّنْيَا،
وَكُلُّ خَمِيلَةٍ..
تَزْهُو بما فيها من الأغصان!

(1) المصدر نفسه، ص 25.

وديون «عباءات الفرّح الأخضر» زاخراً بقصائد الرثاء للهاشميين، وبيان
تضحياتهم في سبيل الأمة، كما في رثاء الشاعر للشريف الحسين بن علي - طيب الله
ثراه - حيث يظهر الاتجاه القومي واضحاً؛ لخصوصية بطولات الملك الراحل،
وتوحيده لطاقت العرب التي تجسّدت في الثورة العربية الكبرى، حيث يقول⁽¹⁾:

يا سيفَ هاشمٍ..

رُدّها عربيّةً.. قُرشيّةً..

وافتحِ بِسيفِكَ بابها!

وافرِدِ عباةَكَ الشَّريفةَ،

خيمةً..

ياؤي إليها العاشقون

رحابها!

الحافظون عهودها..

ومحمود التل في شعره الوطني يعكس التزاماً بقضايا الأردن، وعشقاً أبدياً له،
يتمسك بترابه، وهويته الأردنية، ويدافع عن أمنه، واستقراره، فضلاً عن وقوفه في
وجه الأخطار التي تداهمه، حيث يقول⁽²⁾:

والأردنُ الآن بيت واحد حاشا

بأن يكون بديلاً كان ما كانا

(1) المصدر نفسه، ص 135.

(2) محمود فضيل التل، تحت جناح الليل، ص 136.

والأردنيّون تقوى فيه لحماتهم بلا فلسطين لا نشأتاق أوطاننا

ويستند سعيد يعقوب في خطابه لموطنه الأردن إلى إرث الثورة العربية الكبرى؛ لينهل من فكرها ما يعينه على مواجهة الواقع، وما تخطه الأيام من معاناة مستمرة، ممّا جعل من لغة الثورة العربية الكبرى وعنفوانها الشائر لغة محببة في هذا الوقت، ومناسبة لتكون لغة خطاب عربي موحد ضد العدوان، يكون الأردن فيها المحفز والباعث لليقظة بكل ما تحمل من حرية وإباء، حيث يقول (1):

كَفَرْتُ بِالشُّعْرِ فَأَسْتَبْدِلُ بِهِ الْغَضَبَا
إِنْ يَكْذِبِ الشُّعْرُ حَدُّ السَّيْفِ مَا كَذَبَا
وَأَنْفُخُ بِصُورِكَ يَسْمَعُ كُلُّ ذِي صَمَمٍ
طَالَ الرُّقَادُ فَأَيُّقِظُ قَوْمَكَ الْعَرَبَا
يُجَدِّي الْعِتَابُ وَفِي الْأَوْقَاتِ مُتَسَّعٌ
فَلِنْ مَضَتْ عَنْكَ قُلُوبٌ مَا أَضْيَعِ الْعَبَا

ويحكي محمد سمحان في قصيدة اللامية الهاشمية قصة الاستقلال وأسطورة

(1) سعيد يعقوب، أعلاق، ط 1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2014م، ص 38.

المجد التي سطرها جنود الثورة العربية الكبرى، حيث يقول⁽¹⁾:

فإذا الإمارة شعلت في ليلنا..
تحيي القلوب.. وتنعش الأمالا
وإذا بعمان الفتية.. تزدهي..
وتميس في حلل الإباء.. دلالا
وإذا الأمير الهاشمي.. بوعيه
يعلي الصروح ويُلهم الأجيالا
حتى غدا رغدان.. قبلة أمة..
قد وزعوها.. يمنة وشمالا

وصورة الهاشميين ملازمة لفضاءات الشعراء الوطنية؛ لما يمثله الهاشميون من نبض وطني صادق، ووجد دافق، يمنح الشعر ألقاً واضحاً ويبعث الشعور بالطمأنينة والسمو في النفس، فهم حملة رسالة خالدة، وقادة أمة، ممّا جعل الشعر ملاصقاً لهذه الصورة الناصعة، كما في قول سعيد يعقوب⁽²⁾:

حملوا الرّسالة ثورةً عربيّةً
وسعوا للشمّ الشمّل بعد تفرّق

(1) محمد سمحان: أقانيم، ط1، دار الحقيقة الدولية للدراسات والأبحاث، عمّان، 2002م، ص30.

(2) سعيد يعقوب، الدر الثمين من نفحات الهاشميين، ط1، مطبعة النور النموذجية، عمّان، 2007م، ص56 - 58.

ومضوا لوحدة أمة قد مُزقت
أجزاءها في الليل شَرَّ مُمَزَّق
بعثوا العزائم من طويل رقادها
فَتَدَفَّقَ الأحرارُ أيَّ تَدَفَّقِي
سمعوا الرصاصَ حين دوى صوتها
كالرعد في سمع الفضاء المطرق
لَبُّوا النداءَ فحين لأمس سمعهم
من مغرب جاءوا إليه ومشرق
فَهَوَى العروبة قد جرى بعروقهم
ولمجدها يسعى الجميع ويلتقي
هَبُّوا لنجدتها فمن مُستشهد
وفى لها حقاً ومن مُتَشَوِّق

لذلك فإن الثورة العربية الكبرى لم تكن غائبة بمورثها الخصب عن حالة التجلي الوطنية التي عكسها الشعراء في قصائدهم، بل بقيت ملهمة لهم، وشاهداً على منجز عروبي لم يزل مبعث فخر واعتزاز.

4 . عمان حصن العروبة المنيع

تتميز عمان بأنها مدينة عصرية، توغل في جذورها التاريخية ذات الأبعاد الفكرية الخصب، حيث استطاعت هذه المدينة العريقة أن تحتل مكاناً مميزاً بين العواصم العربية، إذ تهيأت لها عوامل سياسية، واقتصادية، وثقافية واضحة.

لذلك صور نظر الشعراء إلى مدينة عمّان بوصفها مدينة عربية تتأثر بالأحداث السياسية، وتشارك فيها، فهي مدينة الاتفاق العربي، وعاصمة المحبة والسلام، فضلاً عن كونها مدينة مقاومة، تدحر المعتدين عليها، ولا عجب «فالمدينة العربية ليست بعيدة عن الأحداث السياسية، ومتغيراتها، بل هي وعاء لها»⁽¹⁾.

ولعل ارتباط مدينة عمّان في العصر الحديث بالهاشميين، منحها خصباً فكرياً واضحاً، فهم حاملو رسالة الوحدة، والثورة على الظلم، والدفاع عن الحقوق العربية، فنجدتها تتأثر بما يجري في فلسطين، وتتألم لمعاناة أهلها، مما جعل التغني بإرث الثورة العربية الكبرى، وبهذا فإنّ مدينة عمّان ببعدها الوطني، وإرثها الحضاري، بقيت ملتزمة بقضايا الأمة، وحلمها القومي بالوحدة، والتحرير بعيداً عن انكسارات الواقع، وإحباطاته المستمرة.

لذلك فإنّ فكر عمّان الإبداعي أخذ بالانبعاث في الشعر العربي الحديث، منذ إعلانها عاصمة للمملكة الأردنية الهاشمية، ومنطلقاً لفكر هاشمي خصب، استطاع أن يجعل منها موقلاً لأحرار العرب، يشدون إليها الرحال؛ ليتفياوا في ظلالها الأمن، وما مجالس الملك المؤسس عبدالله الأول ابن الحسين إلا خير مثال على ذلك، حيث سجل الشعراء: الأمير عادل أرسلان، ومصطفى الغلاييني، وخير الدين الزركلي، وعبدالمحسن الكاظمي، وفؤاد الخطيب وغيرهم من الشعراء العرب روح هذه المدينة، ونبضها الخالد في الوجدان.

وإذا كانت عمّان بؤرة إشعاع وطني، فإنها أيضاً متّقدة قوميّاً، نهضت منذ تأسيس الإمارة بحمل رسالة الوحدة العربية، لذلك لم يكن الشعر بعيداً عن هذه الرؤى المتحفّزة، وما تعكسه من أمل عربي راسخ بالانتصار.

(1) زهير عبيدات: صورة المدينة في الشعر العربي الحديث، ط 1، دار الكندي، إربد، 2006م،

ولعلّ هذا البعد يظهر واضحاً في شعر مصطفى وهبي التل، إذ يجعل من زيارة الزعيم السوري للأردن سنة 1939 م فرصة لإبراز ما تحتله عمّان من مكانة قومية، بعدما تشكّلت بنبض عربي واضح منذ انطلاقة إمارة شرقي الأردن، تضم أحرار العرب، وتنافح عن حقوق المضطهدين، انطلاقاً من رسالة الثورة العربية الكبرى التي حمل الهاشميون رايتها عنواناً للوحدة، وصوناً للأمة⁽¹⁾:

جاءت دمشقُ إلى عمّان زاحفةً

وطالما سادت الأوطانُ، أوطاني

إن الحميّة ما زالت كعهديكم

ذخر الميامين من علياء عدنانٍ

والهاشميونَ أدري الناس قاطبةً

بأنّ زمـزـمَ والأردنَ صنـوانٍ

وقد يصبح المكان أكثر خصباً عندما يرتبط بقاء وفاق ووحدة كالذي جمع الأمير الهاشمي (عبد الله الأول بن الحسين) بضيف الأردن الأمير سعود، ممّا أسهم في اتّقاد جذوة المكان القومية، وامتداد مواكب الوحدة في أرجاء الوطن الكبير، كما في قصيدة «يوم العروبة» لعبد المنعم الرفاعي، حيث يقول مخاطباً عمّان⁽²⁾:

(1) مصطفى وهبي التل: عشيات وادي الباس، جمع وتحقيق زياد الزعبي، ط3، منشورات وزارة

الثقافة، عمّان، 1982 م، ص 350-351.

(2) عبد المنعم الرفاعي: شعر عبد المنعم الرفاعي، ص 314.

عَمَّانُ ماذا في ربالكِ؟ أديمَةٌ
بالنُّبُلِ والحسَنات باتت تهتُنُ
ما البشر؟ ما البسمات؟ ما وهج السنا
أمواكِبُ جاءتْ بيومكِ تَؤُمُّ
نَزَلَ الأميرُ سَعُودُ فَيَكِ مَلَبِيًّا
لأبي طلال ما يحلّ ويحسنُ

وعَمَّانُ حاضرة بحسّها القومي، تزهو بالأمل المشرق، وتحتفظ لأبنائها العرب
بمشاعر الحبِّ الدافق، والأخوة الصادقة، كما في قول عيسى الناعوري متغنيًا
بوحدة عَمَّانِ بمدينة الرباط المغربية⁽¹⁾:

مَنْ الشَّرْقِ، مَنْ دَارِي النَّائِيَةِ
أَتَيْتُ إِلَيَّ دَارِي الثَّانِيَةِ
فَعَمَّانُ أَخَتُ الرِّبَاطِ، وَأَنْتُمْ
وَنَحْنُ مَوَدَّتُنَا بَاقِيَةِ
وَأَهْلِي هُنَاكَ، وَأَهْلِي هُنَا
كُلُّهُمْ وَوَعَزْوَتِي الدَّانِيَةِ
جَنَاحِينَ لِلضُّمَادِ وَنَبْقَى
وَوَحْدَتُنَا الْغَايَةِ السَّامِيَةِ

(1) عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، ط 1، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عَمَّان، 1983 م،

وتشهد عمّان بثوبها القومي معاناة الفلسطينيين، وبداية التحول في حياتهم المعاصرة، حيث نشأت على أرضها المخيمات الخاصة بهم؛ لتحضنهم في أخوة صادقة، كما في قول عبد الرحيم عمر على لسان إحدى الفلسطينيات مصوراً هذا المشهد القومي الذي جسّدته عمّان⁽¹⁾:

أنا اسمي منتهى عبد الكريم

من أهالي الجلزون

أنا في عمّان من عشرين يوم

أسكنونا في مخيم

فاطمئنا إخوتي

هذه الدنيا جتنا بالخيام

وتتلبس عمّان بثوب قومي، بوصفها عنواناً للأخوة الإسلامية، ونقطة انطلاق للتحرير كما في خطاب يوسف العظم لأهله في اليمن، حيث تتبدى المشاعر الإسلامية الممزوجة بالانتماء الصادق للوطن⁽²⁾:

وفي أرضِ عمّان الأبيّة إخوةٌ

لكمُ يا أباءَ الضيمِ صيدٌ أكارمُ

يحبونكم في الله والحقّ والهوى

وحبُّ لغيرِ الله والحقّ آثمُ

(1) عبد الرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة، ص 180.

(2) يوسف العظم: الأعمال الشعرية الكاملة، ط 1، دار الضياء، عمّان، 2003م، ص 55.

يوحدنا القرآنُ إنْ فرَّقَ النَّوى

ويجمعُنَا في البَّرِّ والجُودِ هاشمُ

وتبرز عمّان متمية لجسدها العربي، وعاشقة لفعل الشهادة، تمنح ساكنيها البطولة والفداء، مما يعكس بُعداً قومياً هاماً طالما نسج الشعراء قصائدهم عليه، ينشدون فيه الحرية بعيداً عن حركة الزمن السلبيّة، كما في قول خالد محادين⁽¹⁾:

يا وطني ماذا فيكَ يتبدّل غير الحزن

هو ذا يُنبت أطفالاً

شهداء في بيروت وفي عمّان

ورصاصاً في بيروت وعمّان

ودمماً، نهراً عربياً تحت عواصمنا

يختزل الأزمان

وترتبط صورة عمّان عند محمد سمحان بمدينة القدس، إذ تتخذ أبعاداً قومية واضحة ممثلة لآمال العرب بتحرير القدس الشريف، ونابضة بآلام الأمة، وتحفّزها للانبعاث الحضاري، حيث يقول معبراً عن دور الهاشميين في تحقيق آمال الأمة⁽²⁾:

يا توأم القدس الشريف.. وخذنها

قدراً المعذب.. أن يحب محالاً

أحببتُ فيكَ سيوفَ هاشم تتنضي

يومَ الطعان.. مقابضنا.. ونصالاً

(1) خالد محادين: الأعمال الشعرية، ص 202.

(2) محمد سمحان: أقاتيم، ص 34.

وحسين فـيها ذو الفقار وجيشه

رهـن النـزال.. لمن أراد نـزالا

وتبرز عَمَّان في قصيدة الرثاء مدافعة عن فلسطين، ملتزمة بتحريرها من قبضة الاحتلال، تهلل فرحاً لقوافل الشهداء الذين يسقطون على أرضها، حيث تقف متحفزة للشهادة، والمجد الآتي، كما في رثاء إبراهيم نصر الله للشاعر الفلسطيني خليل زقطان حيث يقول مبرزاً دور عَمَّان البطولي في الدفاع عن الأمة لحظة الانكسار القومي⁽¹⁾:

قمرٌ ينحني..

والزغاريدُ مشرعةٌ للإياب المفاجئ

لما تمرُّ الجنازةُ زيتونةً بالجراح

وعَمَّان تحمل رشاشها.. وقطوفَ الأغاني

وتتشرُّ فوق الجبين السماويّ

وشمسَ الضواحي

وقد شكّل قيام مجلس التعاون العربي في عَمَّان عام 1988 م ملمحاً مهماً في فعل الإشعاع القومي الذي مارسه عَمَّان، بعدما أصبحت منطلقاً للوحدة، تشع بالرويا وتنبعث بالألفة، كما في مطلع قصيدة «فجر الوحدة» لعائشة الرازم، حيث تقول⁽²⁾:

(1) إبراهيم نصر الله: الأعمال الشعرية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس، عَمَّان، 1994م، ص161.

(2) عائشة الرازم: الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، دار الخواجا للنشر، عَمَّان، 1988م، ص386.

مِنْ فَجْرٍ عَمَّانِ جَاءَتْنا سَرايانا
مرفوعة الرّأسِ، حلّ الزّهو ألوانا
توسّع الصّدر للأجبابِ يجمعهم
هذي الفوارسُ، قد جاءته أركانا
تُرسي زوايا الصّراطِ المستقيم لنا
تعبّد الدّربَ فانشدت زوايانا..
منصوبة الجذع لا تُحنّى كواهلها..
مهما تثاقلت الأهل والأهوال أوزاننا

وهذا جعل مدينة عمّان في مقدمة المدن المقاتلة في سبيل الأمة، تستنهض الهمم،
وتعبّر عن واقعها العربي المتخفّز.

وتشير لميس العتوم إلى البعد القومي الذي تحمله مدينة عمّان، بوصفها عاصمة
الوفاق والاتّفاق العربي، بعدما انعقدت على أرضها مؤتمرات القمة العربية الداعية
للولحدة، ونبذ الخلافات جانباً⁽¹⁾:

أيمم وجهي شطر عاصمة
تحتضن الوفاق.. همساً وحلماً
تغرقني عمّان.. بوجه حبيب
تغرقني ووجه الحبيب.. بوابل مطر
وتباشر مقدم الربيع
تنشق عنه الأرض.. وقد ارتوت

(1) لميس العتوم: أدبيات امرأة رافضة، ط1، دار طوباس للنشر، عمّان، 1994م، ص 20-21

وعمّان معقد رجاء الأمة في زمن ضاقت فيه الدروب، واشتدت عليه الآلام لذلك يخاطب نايف أبو عبيد عمّان، لتقوم بدورها القومي، في استنهاض الهمم، وبث الأمل في النفوس⁽¹⁾:

لي فيك عمّان آمالٌ معطرةٌ
يا مطلعَ الشمسِ إذ نور الحياة بدا
يُمنّاك والسيف ظلّ يستظلُّ به
فاستنهضي العزمَ في وجه الطغاة ردي
ردّي الذي ضاع يا بنت الكرام فما
أجدي من السيف إن حقّ الأنام غدا
أبناؤك الغرُّ تاقوا للكفاح فما
أشهى من الورد إن بلّ الظمأ صدى

ويجعل خالد فوزي عبده من مدينة عمّان دوحة هاشمية وارفة الظلال، تمنح ساكنيها نبض الأخوة، وفعل الوحدة الذي يحيل المكان وساكنيه إلى جسد واحد، يشع بالحبّ والأمان، حيث يقول مخاطباً الكاتبة غيداء درويش⁽²⁾:

أختاه لا تجزعي فالأرضُ واحدةٌ
لأنها وطنٌ قد ضمّ بلدانا

(1) نايف أبو عبيد: نشيج القوافي، ص 4.

(2) خالد فوزي عبده: علامات على الطريق، ط 1، منشورات أمانة عمّان الكبرى، 2003 م،

ما زال دوحك في «عمّان» مُرتديًا

من العروبة، أوراقًا وأغصانًا

ما «القدس» ما «الشام» ما «عمّان»

ما حلب إلا دماءً واحدًا نبضًا وشرينا

إذ لم تنقطع عمّان عن نشأتها القومية في عهد إمارة شرقي الأردن عام 1921م، فهي مازالت تسير على نفس الخطى الذي انتهجه الملك عبدالله الأول ابن الحسين، تجمع ولا تُفرّق، تسعى إلى الوحدة والتحرير متجاوزة عوامل الفرقة والتخاذل، وهذا شكل من نسيجها السكاني ثوبًا عروبيًا ترتديه الأمة كلما اشتدت عليها المحن، وألمت بها الخطوب، حتى أضحت قبلة العرب، وحصنهم المنيع، ترتد إلى ثورة نهضوية جمعت العرب من مختلف الأقطار دفاعًا عن المنجز وصونًا للكرامة، كما في قول سعيد يعقوب مخاطبًا عمّان⁽¹⁾:

قِيلَ لَـهُ الْعُزْبُ وَمَنْهُ وَايَ قَلْبِهِمْ

وَلَهُمْ كُنْتُ مِثْلًا لِلْوَفَاءِ

وَالسَّجَايَا لِلنَّشَامَى تَتَمْنِي

لَمْ تُكْذِّرْهَا دَعَاوِي الْأَدْعَاءِ

وَلِوَاءِ الْمَجْدِ يَزْهُو فِي الْمَدَى

عَرَبِيُّ الْوَجْهِ رَفَافُ الْإِبَاءِ

(1) سعيد يعقوب، نسيمات أردنية، ص 149 - 150.

يَتَمَنَّى السَّجْمُ فِي عَلَيٍّ هـ

أَنْ يُرَى مِثْلَكَ فِي هَذَا الْعَلَاءِ

وبهذا فإن مدينة عمّان بعدها الوطني، وإرثها الحضاري، بقيت ملتزمة بقضايا الأمة، وحلمها القومي بالوحدة، والتحرير، بعيداً عن انكسارات الواقع، وإحباطاته المستمرة، ممّا جعلها مدينة شمولية ذات أبعاد انبعاثية واضحة.

5 . رثاء الملوك الهاشميين

استطاع الشعر في الأردن مواكبة أحداث الأمة المهمة، وانعكاساتها الفكرية إذ أحدث فَقْدُ كثير من الشخصيات القيادية في الوطن العربي هزّة عنيفة للوجدان الشعري المتحفّز للتعبير عن واقع الأمة وطموحاتها.

ولعلّ هذا الزخم من القصائد الرثائية، جعل تصنيفها في أقسام أمراً ملحّاً، إذ برزت فيها صورة الهاشميين بشكل واضح، فضلاً عن طبيعة تشكيلها الفكري، الذي يستمد خصوصيته من توضّحات الهاشميين، وإرثهم الخالد، ودفاعهم عن أمّتهم، بشكل ينفرد عن تلك القصائد التي قيلت في رثاء القادة العرب، أو رموز النضال العالمي.

وقد عبّر مصطفى وهبي التل عن جانب مضيء من توضّحات الهاشميين وذلك في رثاء مفجّر الثورة العربية الكبرى الحسين بن علي - طيب الله ثراه - حيث يظهر الاتجاه القومي واضحاً؛ لخصوصية الملك الراحل، وتوضّحته بعرشه في سبيل الأمة، والمطالبة باستقلالها⁽¹⁾:

(1) مصطفى وهبي التل: عشيات وادي الياض، جمع وتحقيق وتقديم زياد صالح الزعبي، ط3، دائرة الثقافة والفنون، عمان، 1982م، ص 382.

أَمْ حَرَّرَ الشَّعْبَ الْهَضِيمَ
وَنَاشَرُ الدَّفِئِ نَ
وَمَقِيْلُ عَثْرَةِ أُمِّهْ
أَعْيَا النُّهْوَضُ بِهَا الْقُرُونُ
ابْنُ الْمَلُوكِ أَبُو الْمَلُو
لِ وَسَبْطُ خَيْرِ الْمَرْسَلِينَ

إذ تبرز الإشادة بمناقب الفقيه، وإنجازاته لخدمة الأمة العربية، مع التركيز على النسب الهاشمي الشريف، وسعي الفقيه الدؤوب لتحرير الأمة، والنهوض بها من عثراتها.

ويستدعي حيدر محمود روح الملك الشهيد عبد الله الأول ابن الحسين؛ ليعاتبها على رحيلها المفاجئ، الذي جاء في أحلك الظروف التي تعيشها الأمة، وهو استدعاء يتعد فيه الشاعر عن تقليدية قصيدة الرثاء من ذكر مناقب الفقيه، أو البكاء عليه، متجاوزاً ذلك إلى إبراز انعكاسات حالة الفقد، وحجم الفراغ الذي تركه بعد رحيله⁽¹⁾:

تَرَجَّلَتْ قَبْلَ الْأَوَانِ
لِمَاذَا تَرَجَّلَتْ
كُنَّا عَلَى مَوْعِدٍ لِّصَلَاةِ الضُّحَى
وَانْتَظَرْنَاكَ،
مَرَّ النَّهَارُ الْحَزِينُ.. بَغَيْرِ أَذَانٍ!

(1) حيدر محمود: الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، مكتبة عمان، د-ت، ص 233.

فهو يسرد حكاية الأمة مع الملك الشهيد، وذلك باستخدام تقنية استرجاع الحدث؛ لصياغة اللحظة الحاضرة، التي أصبحت فيها الأمة غير قادرة على التواصل مع الآخرين، وفقدت مقومًا مهمًا من ركائز نهضتها الحديثة.

ويبرز رثاء الهاشميين علاقة التلاحم بين الجسدين الأردني والفلسطيني، وتعلق الفلسطينيين بآل هاشم؛ لتخليصهم من المعاناة والاحتلال، حتى أصبح هذا الأمل مزروعًا في عقول الأطفال، ينشدونه كلما ألمت بهم المصائب، ونزفت جراحهم، يقول حيدر محمود مخاطبًا الملك الشهيد⁽¹⁾:

ويسألني عنك طفلاً

«بياب الخليل»

- متى يطلع القمح؟!

- للقمح ميقاته..

ولقد كنت أقرب منا..

وأبعد...

ويركّز رفعت الصليبي في رثاء الملك غازي على سطوة الموت، وعدم تمييزه بين الناس، وهي حقيقة طالما ردها الشعراء في قصائد الرثاء بشكل عام، ورثاء الملوك والقادة بشكل خاص، إذ تصيب سهام الموت مصدر الخصب والخير لتترك الآخر في حالة حزن دائم، يعكس موقفًا عدائيًا من الموت⁽¹⁾:

(1) المصدر نفسه، ص 235.

(1) سحبان خليفات: رفعت الصليبي، قصائد ومقالات (1916-1952)، دراسة وتحقيق، ط2، دار الجيل العربي للنشر والتوزيع، عمان، 2002م، ص 79.

ذهبَ الموتُ بالمليكِ المفدى
لم يبالِ بالتاجِ والصولجان
لم يقفْ دونه الشابُّ ولم يعصم
من الموتِ عزّةُ السلطان
ملكٌ صاغه الإله من القوة
والحزم والنُهي والحنان
والمنايَا مجنوننةٌ لا تبالي
ذهبت بالجريء أو بالجبان

ولعلّ التلقائية والنبرة الخطابية سمة بارزة في قصائد الرثاء التي قيلت في الملوك والقادة العرب، إذ ترتفع هذه النبرة عند «الحديث عن القضاء والقدر، وإن الموت غاية كل حي، مع قرن ذلك بالمفاجأة والحزن، والدعاء للميت بالرحمة، بأسلوب تقليدي، وتعبير يغلب عليه الضعف والصنعة»⁽¹⁾. وهي سمة نكاد نلمسها عند كثير من الشعراء العرب في رثاء القادة والملوك⁽¹⁾ ممّا جعل المباشرة مسيطرة على البناء الفكري، والتشكيل الفني لقصيدة الرثاء في الأردن، وبخاصة عند جيل الشعراء التقليديين.

(1) محمد حور: بكاء رمز (جمال عبد الناصر في مراثي الشعراء)، ط 1، المؤسسة العربية

للدراسات والنشر، بيروت، 1997م، ص 58.

(1) انظر: المصدر نفسه، ص 36.

لذلك نرى حسني فريز يصور مرارة فعل الفقد، وما أَلَمَّ بالأمة عند استشهاد الملك عبد الله الأول بن الحسين، إذ حلَّ الظلام، وتهاوت الآمال معلنة عن حالة حزن جماعي، خيم على المكان، ومنحه قداسة وسمواً، يقول⁽¹⁾:

علمٌ في المسجدِ الأقصى انطوى

ملاً الدنيا دويّاً وأسى

هوتُ الشمسُ فلان نور ولا

قبسٌ من فيضٍ ذياك السنا

هوتُ الأمالُ من آفاقها

حين غابَ النورُ وأندك الرجا

مأتمٌ في الأرضِ موصولُ البُكا

وشجون مرضيات في الحشا

ويبرز الشعراء في رثاء الهاشميين إرثهم النهضوي الخالد، والمائل في رسالة الثورة العربية الكبرى، وهو معنى مهم تردد كثيراً عند الشعراء العرب في حديثهم عن

(1) حسني فريز: الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، إعداد: راشد عيسى ومعاذ الحيارى، منشورات

أمانة عمان الكبرى، 2002م، ص 349.

الثورة العربية⁽¹⁾، بوصفها أولى محاولات العرب الوحدوية في القرن العشرين، يقول سيف الدين زيد الكيلاني في رثاء الملك فيصل⁽²⁾:

يا طليقةً من بنديّةٍ فيصلٍ
طارَتْ إلى الأعداءِ قبلَ سواها
قد حرّرتْ شعباً من الجورِ الذي
لحقَّ «الجزيرة» سهلها ورباهها!

ويحتفظ الشعر للشريف الحسين بن علي بمكانة مميّزة في قصيدة الرثاء؛ فهو قائد ثورة العرب الكبرى، وباني نهضتهم الحديثة، أسس لفكر قومي، بقي راسخاً في الوجدان العربي، ممّا جعل الشعراء يناجونَه كلما اشتدت بهم الخطوب فهذا حيدر محمود يخاطب قائد الثورة، مستلهمًا فكر الهاشميين، ورسالتهم الخالدة، حيث يقول بين يدي جلاله الحسين بن طلال - رحمه الله - رابطًا الماضي بالحاضر⁽³⁾:

أيّها الراقِدُ في الأقصى: سلاماً
يا أبا الثوار، لا زلت الإماماً
لم تزلْ رايُتْكَ الراية.. والقرشي
الحمد، ما زال الحُسام..

(1) انظر: تركي المغيص، صدى الثورة العربية الكبرى في الشعر، ط 1، منشورات وزارة الشباب، عمان، 1989 م، ص 80 وما بعدها.

(2) سيف الدين زيد الكيلاني: خلجات قلب، ص 129.

(3) حيدر محمود: مجلة أفكار، العدد 64، 1983 م، قصيدة رسالة إلى الحسين بن علي، ص 89.

واسمُك الطاهرُ فينا لم يزلْ دوحةً.. تُطلِعُ صيداً، ونشامى

واحتلَّ جلالة الملك الباني الحسين بن طلال - رحمه الله - مكانة مهمة في قصيدة الرثاء في الأردن؛ إذ يعدُّ جلالته ظاهرة قوية ومؤثرة، تركت بصماتها في جميع مجالات الحياة، واستطاعت خلال فترة حكمه المباركة أن تؤسس فكراً نهضوياً شاملاً على الصعيدين المادي والمعنوي، فضلاً عن أنه يمثل نقطة تحوّل مهمة في تاريخ الأردن الحديث، تجاوزت حدود الزمان والمكان، لترسم آفاقاً مستقبلية، قادرة على التحدي، ومواجهة الصعوبات.

وقد واكب الشعر المعاصر في الأردن حياة الحسين، وسجّل إنجازاته وتضحياته في سبيل أمته، لذلك شكّلت وفاته فاجعة كبيرة، صدمت الوجدان الشعبي بكلّ فئاته العمرية، وأطيافه السياسية، ومستوياته الثقافية، إذ ظهر الشعر باكيةً قائده الراحل، ومستلهمًا إرثه الخالد.

وكان الشعراء أقدر الناس، وأكثرهم براعة في تصوير المصاب الجلل، فأخذوا يناجون القائد، ويعدّدون مآثره، ويشيدون بإنجازاته في كافة مناحي الحياة. فنجد حيدر محمود يربط إبداعه الشعري بحياة الحسين، وحضوره الدائم بين شعبه، لذلك فإنه يعبر عن حزن سرمدى، جعل منابع شعره تجف بعدما كانت غزيرة التدفق⁽¹⁾:

(1) حيدر محمود: الجبل، ط 1، جريدة الهلال، مطابع الدستور، عمان، 2001م، ص 69.

لَيْسَ يَقْوَى عَلَى رِثَائِكَ شِعْرِي
فَبِمَاذَا أُرْثِيكَ.. يَا بَعْدَ عُمْرِي!
كَانَ يَجْرِي عَلَى لِسَانِي كَمَا النَّهْرُ
وَمَا عَادَ، فِي غِيَابِكَ يَجْرِي
كُلَّمَا هَمَّ أَنْ يَقُولَ.. طَوَاهُ
حُزْنُهُ.. فَانْتَنَى عَنِ الْقَوْلِ ثَغْرِي!
كَيْفَ يَا مُلْهَمِي يَطَاوِعُنِي الْحَرْفُ
وَنَارُ الْأَسَى.. تُمَزُّقُ صَدْرِي

وحيدر في حزنه المقيم لرحيل الحسين، يكشف لنا عن سرّ إبداعه الشعري
وكيفية تشكّل مفرداته اللغوية في قوالب شعريّة، جعلت قصائده تحتل مكانة متميزة
على الساحة الشعرية في الأردن.

ويلتقط حيدر محمود مشهد جنازة الحسين، الذي بقي عالقاً في ذاكرة التاريخ
مثلما رسخ في الوجدان الشعبي؛ ليبرهن على عظم حالة الفقد، ومكانة الراحل
الكبيرة في قلوب الآخرين، إذ تجاوزت حدود المكان، لتشمل البشرية بأسرها⁽¹⁾:

أَيُّ قَدْرٍ هَذَا الَّذِي جَعَلَ الْعَالَمُ
يَسْمَعِي إِلَيْكَ.. مِنْ كُلِّ قُطْرٍ!

(1) المصدر نفسه، ص 70.

لَمْ يَجِيءْ لِلْوَدَاعِ.. بَلْ جَاءَ يُهْدِيكَ

- اعترافاً بالفضل - أعظم شكر

جَاءَ يُصْنِئِي لِمَا تَقُولُ.. وَفِي صَمْتِكَ

سِحْرٌ - يَا سَيِّدِي - أَيُّ سِحْرٍ..!

فَلَقَدْ كُنْتَ شَاهِدَ الزَّمَنِ الصَّعْبِ

وَقَدْ كُنْتُ فِيهِ لِيَلَّةٌ قَدْرٌ..

ولم يغب منظر المطر المتساقط ساعة الجنازة عن ذاكرة الشعراء، إذ أنعمت السماء على زائرها بقطرات ماء، كان لها فعلها في التخفيف من المعاناة، وحرقة الألم، فضلاً عما يمثله المنظر من خير ورحمة للناس، وما يحمله من دلالات إيجابية تنسجم مع صفات القائد العظيم، إذ تعبّر هيام الدردنجي عن هذا المعنى بقولها⁽¹⁾:

يَا سَيِّدَ الْأُرْدَنِ هَذَا يَتُّنَا

وَطَنٌ مِّنَ الْأَحْزَانِ إِذْ نَنَعَاهُ

بَكْتِ السَّمَاءِ عَلَيْكَ رَحْمَةً خَالِقِ

كَيْ تَطْفِئَ النِّيرَانُ مِّنْ فُرْقَانِهِ

(1) وائل بن طريف: رثاء الحسين في قلوب الشعراء، ط 1، بلا مكان، 1999 م، قصيدة للشاعرة بعنوان (أبيك يا أعلى الرجال)، ص 17.

وتخرج مريم الصيفي عن صمتها، وصدمتها عند تلقيها خبر الوفاة، لتمارس فعل النواح بنبرة خطابية، ولغة توحى بالألم، وعمق المأساة، وذلك بطرحها مجموعة من التساؤلات، تنبض بالحيرة، والعجز أمام مرارة الواقع، حيث تسجل مآثر الراحل التي أنعم بها على شعبه، لذلك نجدها تقول بأسلوب المرأة الثكلى⁽¹⁾:

مَنْ للكسيرِ جناحه؟؟

مَنْ لليتامى؟.. للثكالى والأرامل؟؟

مَنْ للضعيف المستجير

إذا استبدَّ زمانُهُ؟؟

من للقلوبِ النائحَاتِ

يَحْزُها أَلَمُ الفراقِ..؟؟

جَلَلٌ مُصَابٌ قلوبِنا

والله خيرُ المستعانِ..

وهي بذلك تتفق مع ما ذهب إليه ابن رشيق في أن طريق الرثاء يجب «أن يكون ظاهر التّفجّع بينَ الحُسرةِ مخلوطاً بالتّلهّف والأسف، والاستعظام، إن كان الميّت ملكاً، أو رئيساً كبيراً»⁽²⁾.

وتصور سلوى السعيد أثر غياب الحسين الفاجع، وانعكاس ذلك على الإنسان والمكان، حيث ساد الحزن، وعمّ الظلام في أرجاء الوطن⁽³⁾:

غابَ «الحسينُ» فغابتْ عن مضاربِنا

شمسُ العروبةِ اسودتْ بواديها

(1) المصدر نفسه، قصيدة للشاعرة بعنوان «هذا الجلال يليق بالحزن»، ص 67.

(2) ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج2، ص 805.

(3) عاهد المشاقبة: مرثاة الحسين، ط1، بلا مكان، د-ت، ص 22.

والأردنيون الألى يَبْكونَ قائِدهُم

باهوا به العربَ والدنيا ومَنُ فيها

ويجعل خالد محادين من المشهد الأخير في حياة الحسين صورة لتلاحم الشعب

بقائده، وحبَّ القائد لوطنه⁽¹⁾:

أَيُّها السَّيد الذي يتركنا الآن

إلى رحلةٍ قصيرة

يرفع يديه الدافئتين تحتَ مطرِ المدينة

ونرفعُ أيدينا من وراءِ زُجَّاجِها

هذه هي الصورةُ الأخيرة.

وتظهر براعة التصوير الشعري عند حيدر محمود، وذلك في استلهام استشراقي

لفكر المرثي، وبخاصة عندما يكون الراحل شخصية سياسية ووطنية، منحت وطنها

الشيء الكثير، فنجد حيدر محمود يعبر عن فكر جلالته بلغة سهلة وشعرية تنبض

بالعطاء، وتشع ببصيرة الراحل العظيم⁽²⁾

سيدي يا حُسين.. يا طَلَّةَ الفجرِ

لقد كُنتَ سابقاً كُلَّ فَجْرٍ..

قَبْلَ شَمْسِ الغدِ الذي سوفَ يأتي

كُنتَ تُسْري.. وبَعْدَكَ الشَّمْسُ تُسْري

(1) المصدر نفسه، ص 37.

(2) حيدر محمود: الجبل، ص 70.

قَبْلَ كُلِّ الَّذِينَ يَصْحَوْنَ.. تَصْـُـحُو

قَبْلَ كُلِّ الَّذِينَ يَدْرُونَ.. تَذْـُـرِي!

ويتعرض الشاعر خالد فوزي عبده لجانب مهم من سيرة الحسين العطرة، وهي دعوته إلى الوحدة الوطنية، والتآخي بين الأردنيين؛ لمواجهة التحديات المختلفة، وهي دعوة بقيت راسخة في الوجدان الشعبي، إذ تتحرك مفردات الانتماء والتضحية، لتعلن اصطفاؤها في صياغة فكر الحسين، يقول راسماً النهج السياسي لجلالة الحسين⁽¹⁾:

ظَلَّـت «فَلَسْـَـطِينُ» فِي أَعْمَاقِ مُهْجَتِهِ

جَرْحاً رَغِيماً دُؤُوبَ النَّزْفِ مَا ضُمِّدَا

وِظَلَّ «أُرْدُنَّنَا» حُبّاً سَمَافَعَا

«عِنْدَ الْحُسَيْنِ» دَعَاءَ الْخَيْرِ إِنْ سَجَدَا

وِظَلَّ أَمْنُ حَمَى «الأُرْدُنَّ» دِيدَنَهُ

عَلَيْهِ كَمْ شَكَرَ الْبَارِي، وَكَمْ حَمَّـدَا

ويبقى النسب الهاشمي -الذي ينحدر إليه الحسين- مقصد الشعراء في رثائهم، ووجهة أشعارهم في بيان فضائله، ولعلّ هذا التوجه هو استمرار لصورة الهاشميين في الشعر العربي منذ القدم، وهي صورة مشرقة، تنبض بالتضحية والوفاء؛ فهم سادة نُجَب، اجتمعت فيهم النبوة، والإمامة، واستمروا رمزاً للمثالية الإسلامية على مرّ

(1) خالد فوزي عبده: نفحات أردنية، ط1، دار الكرمل، عمان، 2002م، ص22.

العصور، لذلك كان تركيز الشعراء في الأردن على النسب الهاشمي واضحاً في تعدادهم لمناقب الحسين، يقول محمد النطافي⁽¹⁾:

نَجْمٌ مِنَ الْأَشْرَافِ حَلَّ بِقَلْبِهِ
عَبَقُ النَّبِيِّ، وَنُورُهُ الْوُضَاءُ
وَعَلَيْهِ مِنْ شَيْمِ الصَّحَابَةِ حَلَّةٌ
وَمِنْ الْكِرَامِ التَّابِعِينَ رِداءُ
وَالْفَاطِمَاتُ عَلَى الْجَبِينِ طَلَاوةُ
دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَعِزَّةُ قَعَسَاءُ

ويجدد الشعر الذي قيل في رثاء الحسين البيعة للهاشميين، الذين شيدوا صروح الوطن، وأعلوا بنيانه، وذلك بالسير على نهجهم، وتتبع خطاهم، فنجد هيام الدردنجي، تخرج من حالة الحزن المقيم، وتستعيد وعيها؛ لتبث الأمل في النفوس، مؤكدة الوفاء للوطن، ومباركة العهد الجديد، الذي بث الروح في الحياة لتستمر المسيرة، ويتجدد البنيان⁽²⁾:

وَرِيثُ عَرْشِكَ نَخْلَةٌ مِنْ هَاشِمٍ
وَالْهَاشِمِيُّ مَجْمَلٌ بِثِقَاءِ

(1) وائل بن طريف: رثاء الحسين في قلوب الشعراء، قصيدة للشاعر بعنوان: «ملك القلوب»، ص 88.

(2) المصدر السابق: ص 19.

والهاشمي إلى المكارم ينتمي

فإذا انتسبتَ له، فأنت فتاه

ولعلّ اختلاط التعزية بالتهنئة أمرٌ مألوف في التاريخ الإسلامي، «وهو مخصوص بالخلفاء في تعزية من يلي عهد أبيه منهم»⁽¹⁾.

وينجح محمد النطافي في الربط بين حالة الفقد والمكان، إذ ينقل أثر الحزن المتأجج من النفوس إلى المكان الذي يصرخ ألماً، وينزف دماً، حزناً على فراق ساكنه⁽²⁾:

ماذا يقول وينظمُ الشعراءُ

جلّ المصابُ فما يفيدُ عزاءُ

عمانُ والقدسُ الشريفُ ومكة

فوق المنابرِ أدمعُ ودماءُ

تبكي القلوبُ طبيها وحبيها

وعلى الوجوه غلالةٌ سوداءُ

فقد بدا الرباط جلياً بين الأماكن المقدسة، وهو رباط سماوي، ورباط أرضي يحمل دلالات تاريخية، ودينية، ووطنية كبيرة، فضلاً عن أنها تجسيد حي لتاريخ الهاشميين، وارتباطهم بتلك الأمكنة.

لذلك لا عجب أن يطرق الشعر أبواب هذه الأمكنة؛ ليستنطقها ما تقوله في

(1) مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، ج3، ص 108.

(2) وائل بن طريف: رثاء الحسين في قلوب الشعراء، ص 88.

فقيدها العظيم.

وفي حقيقة الأمر فإن الشعر الذي نُظم في الهاشميين مدحاً أو رثاءً يعكس أمل الأمة بالتححرر، ممّا جعل من الهاشميين رمزاً للعروبة المتّقدة، حتى أن الشاعر إبراهيم المبيّضين أكثر من هذه القصائد التي سماها بالهاشميّات، كما في قصيدته التي رفعها إلى جلالة المغفور له الحسين بن طلال بمناسبة عيد الجلوس الملكي، حيث يقول⁽¹⁾:

حسّينُ سيّد عدنان وفارسها
سبّطُ النبي حفيدُ المنقذ العربي
من أكبرت أمم الدنيا بسالته
وأيدته قلوبُ الشعب من كُثب
من معشر طهر الرحمن بنهمو
وبارك الله ما شادوا من الحسب
أئمة عطر التاريخ ذكرهمو
فمجدهم راسخ البنيان والطنب
وذادة عن حمى الإسلام ما برحوا
مؤيدين بنصر الله والغلب

ويُبرز إبراهيم المبيّضين في رثاء الهاشميين إرثهم النهضوي الخالد، والمائل في

(1) حسن المبيّضين، وزميله، إبراهيم المبيّضين، حياته وشعره، ص 110.

رسالة الثورة العربية الكبرى، وهو معنى واضح تردد كثيراً عند الشعراء العرب في حديثهم عن الثورة العربية الكبرى⁽¹⁾، بوصفها أولى محاولات العرب الوجودية في القرن العشرين، كما في رثائه للملك فيصل بن الحسين، حيث يقول⁽²⁾:

فارسٌ قد قاد في حزمٍ وبأس

أمة قد كابدت أعوام نحس

من أعالي دوحه المجد التي

غرست دون سواها خير غرس

من ليوث الثورة الكبرى التي

طهرت أوطاننا من شر رجس

أجمع العرب على طاعته

وانضوا في جيشه تحت الدرفس

وتبرز صورة الهاشميين ناصعة في حديث إبراهيم المبيضين عن فكرة التحرر القومي التي حملتها رسالة الثورة العربية الكبرى، فهم قوم سادوا بالمكارم والأخلاق، لا بالمدح والألقاب، ينهلون من معين ديني لا ينضب، جعلهم قادرين على قيادة الأمة، كما في قوله⁽³⁾:

(1) يُنظر: تركي المغيض، صدى الثورة العربية الكبرى في الشعر، ص 80 وما بعدها.

(2) حسن المبيضين، وزميله، إبراهيم المبيضين، حياته وشعره، ص 226.

(3) المصدر نفسه، ص 118.

يسيرُ الهدى والعدلُ تحتَ لوائهم
ومن ذا سواها قَاد أَقْطَارَهَا طَرا
أَسَانِدَةُ تَقْوَى الإِلَهِ شِعَارَهُمْ
فَلَمْ يُهْلِكُوا حَرْثًا وَلَمْ يُهْتَكُوا سِتْرًا
وَقَدْ طَبَقُوا الْآفَاقَ عِلْمًا وَحِكْمَةً
وَنَهَجَ حَيَاةٍ صَيَّرَتْ عَبْدَهَا حُرًّا

لقد عبّر الشعراء الأردنيون عن تعلقهم برسالة الهاشميين الخالدة، وصدمتهم لفقدانهم، وثقتهم باستمرار رسالتهم القومية في أحفاد مفجّر الثورة العربية الحسين ابن علي - طيب الله ثراه - حيث يلمس القارئ سيطرة النمط التقليدي على الأسلوب الشعري، وذلك بتعداد مناقب الفقيه، والإشادة بإنجازاته التي حققها، فضلاً عن النسب الهاشمي الشريف الذي ينحدر منه الهاشميون، ممّا جعل الصورة التي رسمها الشعر امتداداً لصورة الهاشميين في الشعر العربي القديم، وهي صورة مشرقة، تنبض بالتضحية والوفاء؛ فهم سادة نجب، اجتمعت فيه النبوة، والإمامة، يقدمون أرواحهم في سبيل أمتهم، ممّا جعل فكرهم مدرسة تشعّ حرية وعطاء، تلهج الألسنة بذكرها وتفخر بها الأجيال على مرّ السنين.

الفصل الثالث

الدراسة الفنيّة

أثر الثورة العربية الكبرى في بناء النص الشعري

1. اللغة الشعرية

تعدّ اللغة وسيلة الشاعر الأولى في بناء القصيدة، وإيصال تجربته إلى الآخرين، ولا شك في «إنّ القصيدة موضوع لغوي من نوع خاص، واللغة توظّف فيها على نحو متميّز»⁽¹⁾.

ولهذا فإن علاقة «تجربة الشاعر بلغته أوثق وأهم من علاقة تجربة القاص، أو مؤلف المسرحية في العصر الحديث»⁽²⁾.

واللغة من أهم وسائل الاتصال بين المبدع والمتلقي، حيث تتجلى فيها عبقرية الأداء الشعري، ويُقيم الشاعر بوساطتها جسوراً بينه، وبين المتلقي، تتخطى حدود الزمان والمكان، وتتجاوب مع كلّ أنة من أنات الشاعر، وهي من الزاوية الأخرى «كنز الشاعر وثروته، وهي جنيته الملهمة، في يدها مصدر شاعريته، ووحيه، فكلما ازدادت صلته بها، وتحسّسه لها، كشفت عن أسرارها المذهلة، وفتحت له عن كنوزها الدفينة»⁽³⁾.

ويساعد اللفظ في تشكيل آفاق تجربة الشاعر الشعرية، حتى أنّه باستطاعتنا عن طريق المعجم الشعري تحديد شخصية الشاعر وأفكاره، ومعرفة مدى صدق مشاعره، إذ «يحمل اللفظ في القصيدة الشعرية دائماً طاقة تعبيرية عاطفية، وحسية،

(1) محمود الربيعي، لغة الشعر المعاصر، مجلة فصول، العدد الرابع، يوليو، 1981م، ص 62.

(2) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ط 1، دار العودة، بيروت، 1982م، ص 408.

(3) نازك الملائكة، الشاعر واللغة، مجلة الآداب، العدد العاشر، أكتوبر، 1971م، السنة التاسعة

تنتمي إلى أفكار الشاعر، وعاطفته، ووجدانه»⁽¹⁾.

وما دامت التجربة الشعرية التي يمر بها الشاعر هي التي تختار اللغة، فإن ذلك يعني أن وظيفتها تعبيرية انفعالية، تُستخدم للتعبير عن أحاسيس واتجاهات، وإثارتها عند الآخرين»⁽²⁾.

ودراسة المعجم الشعري لقصائد الشعراء في الأردن تكشف لنا عن مدى نجاحهم في اختيار ألفاظهم، وبخاصة الألفاظ ذات البعد القومي، إذ كوّنت ملمحاً بارزاً في الشعر الأردني بشكل عام، فنجدهم يستخدمون ألفاظاً مثل (العزة، أمجاد، السياسة، الطغاة، الجيوش، الثورة الكبرى، العرب، العروبة، عصر الخلفاء، الشعوب، النخوة، القدماء، النصر، الثأر، العلا، الوحدة، الكيان، الحرية، الأمة، العترة، الإسلام، الجهاد، المروءات، ناهض، النهضة،....)، فضلاً عن استخدام الألفاظ ذات الصلة بالاتجاه القومي، مثل: (الخطوب، المهيب، النائبات، المنتمي، المكارم، الشمل، الحروب، الديار، الفكر، الدمع، الفخر، الأبطال، التاريخ، السيف، المجد، الفتح، المقدام، المؤزر، صرخة، الهيجاء، الغرب، الرايات، الفاتحين، الدار، السلاح، الزعامة،....).

ويستخدم الشعراء أسماء أمكنة ذات صلة واضحة بأفكارهم القومية، التي جاءت للتعبير عن انفعالاتهم الحادة، ورغبتهم في التحرير، مثل: (الأردن، فلسطين، المسجد الأقصى، القدس، الجزيرة العربية، مكة، الكرامة، بغداد، الكرك، الخليل، خط بارليف، دمشق، غزة، الشام، بدر، اليرموك، قناة السويس،...).

(1) طلعت أبو العزم، الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981م، ص 367.

(2) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ط 4، مكتبة غريب، القاهرة، ط 1، ص 47.

ولعلَّ سيطرة هذه الألفاظ جاءت نتيجة سيطرة حالة نفسيّة معيّنة، تتشكّل وفقها ألفاظ ذات دلالات تُعبّر أو توحى، عن تلك الحالة النفسيّة لمبدعها، وهذا لا يجيء اعتباراً «وإنما يأتني لأن دوافع التجربة في داخل الشاعر هي التي تختاره، وتعتمده، وتطمئن إليه، بعد أن تكون قد غاصت في أكوام هائلة من الألفاظ»⁽¹⁾.

وتتسم لغة الشعراء القوميّة بالحماسة والانفعال، واستخدام الألفاظ الجزلة التي تعدُّ من «مقومات الشعر القومي الحماسي الذي يهدف إلى مخاطبة الجماهير»⁽²⁾. كما في نقد إبراهيم المبيضين للأمة، حيث يقول⁽³⁾:

يا لـقـومـي ضـيـعـوا أمـجـادهم
وارتضوا الهوان وناموا للقضاء
نكسوا في ذلّة أذقانهم
واسـتـكـانـوا لاضـطـهاد البغضاء

وهذا قاد الشاعر إلى الوضوح والبساطة في الخطاب الشعري، حيث المباشرة في الأسلوب، وسيطرة الفكرة على طريقة الشاعر في البناء، كما في قوله مفتخراً بالثورة العربية الكبرى⁽⁴⁾:

(1) عبد القادر الرباعي، الصورة الفنيّة في شعر أبي تمام، ط 1، منشورات جامعة اليرموك، إربد، 1980م، ص 241.

(2) عمر الدقاق، نقد الشعر القومي، ط 1، منشورات اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1978م، ص 181.

(3) حسن المبيضين، وزميله / إبراهيم المبيضين حياته وشعره، ص 87.

(4) المصدر نفسه، ص 88 - 89.

أثـاروا الثـورة الكبـرى بحـق
لرفع الضمـيم وانكشـف الغطاء
وأعلنهـا أبـو الأمـلاك جهـراً
حسـين مـن أقامتـه السمـاء
وأطلق طلقـة سمعت صـداها
شعوب الأرض وارتجـج الفضـاء
ليـوقظ أمة رقـدت زمـانا
طويلا كـاد يدركها العفـاء
فهـبّ العـربُ مثـلَ أسـود غـاب
وفوق رؤوسهم خفـق اللـواء
أجابته الحواضـرُ والبـوادي
ولبت صـوته حتـى النسـاء
فقـاد الأمـة العظـمى لمجـد
أثـيل كـان يعـوزه الفـداء

ويرتبط معجم الشاعر القومي بمعاني العزة، والوفاء، واستنهاض الهمم، ويزخر بمعاني التضحية، والفداء، كما في قول إبراهيم المبيضي معبراً عن فخره بالأمّة

العربية في حرب رمضان⁽¹⁾:

أمة العرب تنادات للوغي
أزعمت أن تحرز النصر الحلالا
واسمعت لتوالي زحفها
ترتقي الحزن وتجتاح الجبالا
بليوث دأبها بذل الفدا
مارسوا الهيجاء واعتادوا النضالا
جاء نصر الله والفتح الذي
قد ترقبناه أعواما طوالا

والحقيقة «إنّ عنصر الإبداع في الصورة التي هي من أبرز مقومات الشعر كان ضئيلاً في القصيدة القوميّة الحديثة بالإجمال»⁽²⁾.

وتبقى المفردة الوطنيّة صاحبة حضور مميّز في شعر حيدر محمود، ومنطلق إبداعه الشعري، تتشكّل وفق نسق وجداني خاص، يتحدّ باللمحة الحاضرة، منطلقاً من قيود الواقع ومنغصاته، وذلك في حالة نشوة وهيام خاصة، حيث يقول⁽³⁾:

يا وطني

ليس مُسْتَغْرَباً حَسَدُ الحاسدين،

(1) المصدر نفسه، ص 192.

(2) عمر الدقاق، نقد الشعر القومي، ص 166.

(3) عباات الفرّح الأخضر (قصائد في آل البيت)، ط 1، منشورات أمانة عمّان الكبرى، 2007 م،

ولا غضبُ الحاقدين،
لأنك أغنى من الأغنياء جميعاً،
بما فيك من كرمٍ، وبما فيك من شَمَمٍ،
وبما فيك من كبرياء!

إذ أتصف الخطاب الشعري ببساطة التعبير، وتلقائية السرد، الذي حمل ملامح تجربة واقعية، ومعركة رجولة يخوضها الوطن مع حاسديه.
ونلمس في ديوان الشاعر صدى لتفجيرات عمّان الأليمة، التي جاءت مناسبة لجدد مظاهر العشق العماني، وانبثاق الرؤيا بكل ما تمنحه للمكان من عنفوان، يجمع كل معاني الوفاء، حيث يقول مُظهراً بشاعة فعل الجُناة⁽¹⁾:

فالنَّجِيعُ الَّذِي أَسْأَلْتُهُ فِي عَمَّانَ
أَيُّ يَدِي الْجُنَاةِ، كَانَ حَرَامًا!
وبرئاً، وطاهراً لَمْ يُرَاعُوا اللَّهَ
فِيهِ، وَأَنْكَرُوا الْإِسْلَامَ
وَسَبَّحُوا لَعْنَاتُهُ تَبَعْتُ اللَّعْنَاتِ
فِيهِمْ: مَنِيَّةً، وَحِمَامًا!
سَيِّدِي، يَا أَبَا الْحُسَيْنِ، وَهَلْ يَطْلُعُ
إِلَّا مِنَ النِّشَامِ النِّشَامِي؟!

(1) المصدر نفسه، ص 34 - 35.

ويلجأ حيدر محمود إلى الانزياح النعتي؛ لتأكيد حضور الوطن بصورته السامية في الوجدان الشعري، إذ لا تنفصل عمان عن بقية تراب الوطن، ممّا أبرز دفقاً شعرياً متوهجاً، وأمدّ النص الشعري بطاقات إيحائية، تُلهب الحس الوطني عند المتلقي، وتجعله أكثر انصهاراً بتجربة المبدع الشعرية، حيث يقول⁽¹⁾:

ويا وطنَ السَّيفِ،

يا وطنَ الضَّيفِ،

كُلُّ حُرُوفِكَ محفورةٌ في الجباه..

لكَ الحبُّ والفرحُ الأخضرُ

لكَ العُمُرُ، والأملُ المزهَرُ

.. ويا وطناً سيَّجتهُ السواعدُ

إذ نعت الفرع بالأخضر، والأمل بالمزهر، مما حمل تشكيلاً لونيّاً خاصاً، يحتفظ للوطن بسموه، وعمق الانتماء إليه، وما إزهار الأمل إلا تنويع لهذه العلاقة التي تربط المكان بساكنيه.

لا شك أن الثورة العربية الكبرى بأحداثها العظيمة، ومورثها الفكري الخصب أغنت حركة الشعر في الأردنيين بمضامين شعرية ذات طبيعة تحريرية، انعكست على مستوى البناء الفني للنص الشعري، لذلك نهل الشعراء من معجم الثورة العربية الخالد ما أعانهم على التعبير عن أفكارهم الوطنية الملهبة، كما في قول حبيب الزبيدي⁽²⁾:

(1) المصدر نفسه، ص 22 - 23.

(2) حبيب الزبيدي، ناي الراعي، ص 264.

سَكَبْتُ أَجْمَلَ شِعْرِي فِي مَغَانِيهِ
 لَا كُنْتَ يَا شِعْرِي لِي: إِنْ لَمْ تَكُن فِيهِ
 هَذَا بِلَادِي وَلَا طَوْلُ يَطَاوِلِهِ
 فِي سَاحَةِ الْمَجْدِ أَوْ نَجْمِ يُدَانِيهِ
 وَمَهْرَةُ الْعَرَبِ الْأَحْرَارِ لَوْ عَطَشْتَ
 نَصَبُ مَاءٍ وَنَرْوِيهِ

إذ تزدحم الألفاظ بمخزونها الفكري المستمد من فكر الثورة العربية الكبرى،
 ورسالتها السامية، ممّا جعل الشاعر أكثر تعلقاً بالوطن وقضاياها، واستعداداً للذود
 عن حماه، بعدما تضافرت الألفاظ مع المعنى الوطني الجامع.
 ولما كان فعل الشهادة ثمرة علاقة حميمة بالوطن، ونتيجة طبيعية لعلاقة تشكّل
 وجداني صادقة، جاء رثاء الشاعر للشهيد الأردني فراس العجلوني معبراً عن ذلك،
 ممّا أبرز قيمة إيجابية خصبة، انبعثت من دماء أبنائه، إذ إنّ الشهادة من أبرز هذه
 القيم وأنبليها، فهي بذل للروح والجسد في سبيل الحفاظ على المنجز الوطني، فكان
 المكان بمفرداته من أبرز متعلقات فعل الشهادة، حيث يقول⁽¹⁾:

نَهَارٌ مِنَ النَّارِ
 غَطَّى الْقَتَامَ جِرَاحِي
 وَحَطَّ عَلَى الرَّمْلِ نَسْرٌ قَتِيلٌ
 يَخْبِي فِي قَلْبِهِ بَرْتَقَالٌ أَرِيحَا
 وَيَثْرَ آذَارُ فَوْقَ جِبَالِ الْكَرْكُ

(1) حبيب الزبيدي، ناي الراعي، ص 137.

فقد صوّر الشاعر حادثة تحطّم طائرة فراس العجلوني، جاعلاً منها نسرًا يهبط على الأرض؛ ليخطّ في ذاكرة العروبة معاني التضحية والفداء، ويحمل أمانى الوطن وأحزانه التي تنمو بين ذرات ترابه.

ولعلّ حضور المكان القومي بمفرداته كان واضحاً في شعر نجيب القسوس، كما في رثائه الحزين لمدينة دمشق، عندما قصفت القوات الفرنسية البرلمان السوري عام 1943م، ممّا أثار مشاعر الحزن والسخط معاً في نفس الشاعر، فكان رثائه الحزين للمكان العربي، مبرزاً بعداً قومياً واضحاً، وتصويراً لحالة موت جماعي، حيث يقول⁽¹⁾:

لبنانُ ييكِي وعين الشام دامعةٌ
وفي العراق كلِّيمُ القلبِ مُتَحَبُّ
وفي فلسطين أكبّادٌ ممزقةٌ
وفي الحجاز قلوبٌ ملؤها صخبٌ
باتت دمشقُ على همٍّ يراودها
يشبُّ منه على أكبادنا لَهَبٌ
مرابِعٌ قد تداعت كلّها خرباً
وما تبقى فلالٌ عَلاجٌ مُتَهَبٌ
وفي الخرائبِ أشلاءٌ ممزقةٌ
وكلّها بدماء الحق تختضبُّ

(1) نجيب القسوس، أغنية الفجر، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، 1990م، ص 86.

في ذمة الله ما لاقت دمشق وما

عانت من الروع لم يخفق لها هُذبُ

لعلّ السمة العامة «للشعر الوطني والقومي هي الخطابية والإثارة والحفول بقوة الألفاظ وإيقاعها، وذلك لأنّه يخاطب العواطف أكثر ممّا يخاطب العقل، ولأنّ مهمته في الرجة الأولى هي الإثارة والدفع، ولذا ليس غريباً أن نجد هذه المياسم في شعر هذه المرحلة في الأردن، إذ اعتمد أغلب الشعراء على التراث القديم اعتماداً كبيراً، ونهلوا من معينه أشكالاً تعبيرية جاهزة، ومعاني قديمة، وصوراً تقليدية، وألفاظاً محفوفة بتفاوت فيما بينهم»⁽¹⁾.

وقد يتشكّل المعجم اللغوي بانفعالات الشعراء النفسية، وحاجتهم المستمرة إلى عالم يستوعب أفكارهم المتمردة، إذ إنّ كلّ لفظ من «ألفاظ اللغة صالح لأن يُستخدم في عمل أدبي»⁽²⁾.

لذلك يُجري الشعراء تغيرات في البناء اللغوي؛ ليتناسب مع النبذة الخطابية والانفعال الذي تنتظم من خلاله الكلمات، كما في أغنية خالد محادين للقدس، حيث يقول⁽³⁾:

رائعةٌ أنتِ وجرحك يا قدس صلاة

وأنيكٍ رغم القيد نشيد!

(1) سمير قطامي، الشعر في الأردن، ط 1، منشورات لجنة تاريخ الأردن، (19)، 1993م، ص 23.

(2) عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، ط 7، دار الفكر العربي، بيروت، 1978م، ص 32-33.

(3) خالد محادين، الأعمال الشعرية، ط 1، منشورات وزارة الثقافة، 2005م، ص 40-41.

أطفالك ليسوا كالأطفال
زيتونك ما زال يضيء الليل
رغم الويل!
شمسك رغم السجان، ورغم الجرح
تشرق كالصبح
تعب من باب ولباب
لا تترك باباً مغلق
وتظل كما الأحزان بعينيك المطلق
يا قدس المغرب والمشرق!

لعل أثر الثورة العربية الكبرى ومبادئها السامية واضح في نسيج القصيدة الشعرية، وميلها للبناء التقليدي وبخاصة في المرحلة (1921 - 1967م) فنجد الشعراء يمجدون حركات الثورة والنضال التي اندلعت في الأقطار العربية ضد الاستعمار، ويعلنون من الحس الثوري لقادتها، ويحفزون الأمة على المقاومة كما في رثاء الشيخ نديم الملاح للأmir عبد الكريم الخطابي⁽¹⁾:

ثارت على أمة الأسبان ثائرة
من سخطه تركت أشلاءهم مزعاً
وشدّ يذكي على الإفرنس ملحمة
تردّ منهم جريء القلب منخلعاً

(1) نديم الملاح، الديوان، ط1، دائرة الثقافة والشباب، عمان، 1984م، ص 22.

مدوا إلى العرب من عدوانهم شُرُكا
غدرًا فكانوا به الصَّيدَ الذي وقعا

ونجد في رثاء جميل علوش لأمير دولة الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح ما
يدل على معاني الأخوة العربية، والشعور بمصائب الآخرين، ومشاركتهم
أحزانهم⁽¹⁾:

شيخُ العروبةِ لا أخصُّصُ موطننا
جمعت شتيت ديارها الأرحامُ
لك في النفوسِ مكانةٌ عليوة
ليست تزيـلُ بريقها الأعـوامُ
رزءُ العروبةِ فيك رزءُ فـادحُ
تلوى الظهور به وتحنى الهامُ

وقد شكّل الطابع القومي الذي قامت عليه إمارة شرقي الأردن منطلقاً مهماً
للتعبير عن حالة التحفّز القومي التي شهدتها البلاد العربية، كما في رثاء فؤاد الخطيب
لسعد باشا زغلول، حيث يقول⁽¹⁾:

(1) جميل علوش، جراح ودماء، ص72، مع ملاحظة أن عجز البيت الثالث ورد بهذه الصورة في
الديوان.

(1) فؤاد الخطيب، ديوان الخطيب، ط1، دار المعارف، مصر، 1959م، ص603.

يا صاحب القلم السيال هل قَلِمٌ
يَسْتَوِزُ الوحيَ بعدَ اليومِ مُنْجِماً
قد كنتَ أعزَلْ إلا منه مَنْصِلَتاً
عَضْباً صَدَمْتَ به البُهْتَانُ فانهدا

ولعلّ هذا النوع من الرثاء يحمل كثيراً من سمات القصيدة التقليدية، إذ يجمع بعض الشعراء في القصيدة الواحدة ما بين البكاء والعويل، والإمعان في المبالغة بذكر صفات المرثي، وجعله مثلاً للعروبة والفداء، تنتفي الحياة بعده، كما في رثاء مصطفى السكران للملك عبد العزيز آل سعود، يقول⁽¹⁾:

ناحَتْ عليكَ الهمُّهُ القَعْسَاءُ
والعَزَّةُ العَرِيْبَةُ الشَّمْسَاءُ
وبَكَتْ عَلَيْكَ المَكْرَمَاتُ وَأَعْوَلَتْ
مَنْ بَعْدَ فَقْدِكَ كَفُّهَا السَّمْحَاءُ
يا شَمْسَ مَجْدٍ للعَرُوبَةِ لَمْ يَكُنْ
للعَرَبِ غَيْرَكَ كَوَكُوبٍ وَضَاءُ
فَنَهَارُنَا بَعْدَ ارْتِحَالِكَ مَقْلَعَةً
عَمِيَاءُ أَوْ دِيَجُورَةً دَهْمَاءُ

(1) مصطفى السكران، ديوان مصطفى السكران (الرثاء)، تحقيق: رسلان بني ياسين، عبد العزيز

شحادا، د-ط، بلا مكان، د-ت، ص 10.

والتأمل في النماذج الشعرية السابقة، يلمس عمق المشاركة الوجدانية، وانطلاقها من مبادئ قومية، مما يمنح الفعل الرثائي طابعاً فكرياً خصباً، تتعالى منه النبذة الخطابية، إذ ينهج الشعراء نهجاً تقليدياً في بناء القصيدة، وتشكيل خطابها. ولا يخلو المعجم الشعري في هذه القصائد من الألفاظ التراثية التي تغنيه بشراء الزمن الماضي، وتحفزه الدائم، إذ تبقى مواجهة الأنا مع الآخر قائمة في النص الرثائي، ولكن في حالة بطولية، تمنح الأجيال القادمة عنفواناً وفخراً مضاعفاً، كما في قول خالد محادين، مستخدماً لفظتي الفرسان والرمح بدلالة معاصرة⁽¹⁾:

أعرفُ أنَّ الفرسانَ يموتونَ

رمحاً منتصباً في وجهِ الشمس

لكن ماذا يمكن أن يفعلَ إنسانٌ في أعراسِ الدم

ومن حيث الدلالة اللونية، فقد جاء اللون الأحمر مسيطراً على كثير من القصائد الشعرية؛ فهو لون الثور ورمز التحرر والفداء، جاء واضحاً في بنية اللغة الشعرية، وظفه الشعراء بتقنيات أسلوبية، تمتاز بالثراء الدلالي، والإيحاء الشعري، فقد «تعددت دلالات اللون الأحمر، في التراث الشعبي، وتباينت مفهوماته، بصورة تجعله لوناً مميزاً، وقد جاء هذا التباين نتيجة لارتباطه بأشياء طبيعية، بعضها يشير البهجة والانشراح، وبعضها يشير الألم والانقباض»⁽²⁾.

ويحمل اللون الأحمر دلالات كبيرة في الشعر الأردني؛ لمناسبة هذا اللون للفعل الثوري، وقدرته على تصوير طاقات النفس المتفجرة وإيحاءاتها الشجيرة، فضلاً عن ارتباط هذا اللون بالدم الذي يرمز للتضحية والفداء.

(1) خالد محادين، الأعمال الشعرية، ص 168.

(2) أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997م، ص 211.

لذلك يربط الشعراء تحفّز هذا اللون بدماء الشهداء، التي تشع النور في الآفاق، فتتحوّل الأشياء عن ألوانها المألوفة، لتكتسب اللون الأحمر، كما في رثاء حيدر محمود لشهداء معركة الكرامة⁽¹⁾:

ولأنّ الدّم.. لا يُصبِحُ ماءً
صارَ لونُ الشَّجرِ المَيّتِ..
أَحْمَرٌ...

والثرى الطَّاهرُ.. نَوَّرَ
وإذا النَّهْرُ.. جماجِمُ
وإذا الأهدابُ تمتدُّ سلالِمُ

ويتميز هذا اللون في شعر إبراهيم نصر الله، بأنه لون شمولي، يتشكّل من مزيج إيجابي للحركة الإنسانية الفاعلة، والمنتجة للحياة، حيث يتفاعل الجانب المادي ممثلاً بالتضحية والفداء بالجانب المعنوي والروحي، ممثلاً بالوطن في شموخه، والحقيقة المُلهمة في سموها، حيث يقول في رثاء عام للحياة⁽²⁾:

كان لونُ الحروفِ بلونِ الدماءِ،

ولونُ الدماءِ بلونِ الترابِ

ولونُ الحقيقةِ في أعينِ الليلِ قاراً.. غباراً

ويحمل اللون الأحمر دلالة عميقة من الألم والمأساة، تصل إلى حالة مخالفة لما هو مألوف، إذ يصف تبدل الأحوال، وتغيّر الأزمنة، ممّا يضاعف الآلام، ويعمّق الجراح.

(1) حيدر محمود، الأعمال الشعرية الكاملة، ص 241-242.

(2) إبراهيم نصر الله، جسدي كان الغربال، د-ط، مكتبة الشباب، عمان، د-ت، ص 7.

وهذا ما وصل إليه عبد المنعم الرفاعي بعد مرور عام من نكبة حزيران، حيث يقول متأسياً على الماضي المجيد في تشكّل استعاري حزين⁽¹⁾:

لَسْتُ مِنْ عُمَرِي، فَأَحْلَامُ زَمَانِي
لَمْ تَكُنْ تَغْفُو عَلَى طَيْفِ الْهَوَانِ
يَا غَرِيبَ الشَّمْسِ فِي آفَاقِنَا
فِي جَبِينِ الشَّمْسِ جَرْحُ الْمُجْدِ قَانِي

وقد تشكّل اللغة وفق آلية خاصة، تناسب ألفاظها بشكل عفوي، محافظة على نسق لغوي، يتناسب مع درجة الانفعال الوجداني، كما في قول حيدر محمود مخاطباً عمّان في استثمار واضح لحركة الضمائر⁽²⁾:

عَمَّانِ يَا دَارَ الْحُسَيْنِ، وَغَارُهُ
وَفَخَارُهُ.. ضُمِّيهِ بِالْأَحْضَانِ
وَكِفَالِكِ فخرًا أَنَّ قَلْبِكَ قَلْبُهُ
وَكِفَالِكِ مجدًا: أَنَّهُ عَمَّانِي

فالروابط المقامة بين الجمل الشعرية، تجعلها أكثر قدرة على رسم أبعاد المكان وانعكاساته المختلفة، بوصفه قنديلاً لا مرآة، ووطنًا لا معبراً، لذلك يصيغ الشاعر هذه المعاني بوسائط محكمة البناء، تستثمر طاقات اللغة وإمكاناتها المبدعة؛ ليرز ما

(1) عبد المنعم الرفاعي: شعر عبد المنعم الرفاعي، ص 128.

(2) حيدر محمود، الجبل، ط 1، جريدة الهلال، مطابع الدستور التجارية، عمّان، 2001م،

تحتفظ به عمّان لقائدها من حبّ بألفاظ تعمّق من الصفة المكانية (دار، غار، فخار، عمّاني) وتمنحها ألقاً خاصاً، وذلك بانصهار ما هو خطابي بالشعري، في تشكيل جمالي واضح لمفردات اللغة، يبرز خصوصيتها في إنتاج النص، ومنحه شعريّة واضحة، تتجاوز مباشرة الواقع إلى تعميق الصفة المكانية بكلّ ما تحمله من أبعاد جمالية.

ويجعل سعيد يعقوب من نداء معشوقته عمّان وسيلة لبث حنينه إلى مدينة مازال حاضرها نبراساً يستضاء به، وقنديلاً يُنير عتمة الطريق، فهي سليلة الحرية، وعنوان كبرياء وشموخ.

وهذا جعل من رسالة الثورة العربية الكبرى مداد فكر تسمو معه عمّان وتمارس سطوتها على الموجودات، بعدما احتفظت لساكنيها بمشاعر الحبّ ومنحتهم كلّ ما يحتاجونه من أمان، حيث يقول⁽¹⁾:

آهَ عَمَّانُ حَنِينِي جَارِفُ
هَلْ لَمَسَتْ الشُّوْقَ جَمْرًا فِي نِدَائِي
يَا بَنَةَ الشَّمْسِ وَيَا نَسْلَ الْعُلا
مَطْلَعِ النُّجُورِ وَرَمَزِ الْخُيَلَاءِ
يَا عَرِينِ الْمَجْدِ يَا عَرِينِيهِ
مَا رَأَتْ مِثْلَكَ عَيْنِي فِي الْبَهَاءِ

(1) سعيد يعقوب، نسيمات أردنية، ص 148 - 149.

فَأَشْمَخِي كَالطَّوْدِ فِي وَجْهِهِ الْعِدَا

لَيْسَ يَرْضَى الطَّوْدُ يَوْمًا بِأَنْجَنَاءِ

إذ أسهم حديث الشاعر العشقي عن عمّان، وارتباطه بها، في تدفق اللغة، واتساقها الدلالي، لتحمل في «داخلها جدل المفتوح والمغلق، فمن خلال المعنى تنغلق في حين أنها من خلال التعبير الشعري تنفتح»⁽¹⁾.

2. الصورة الشعرية

تعدّ الصورة إحدى الوسائل الفنية في بناء النص الشعري، ممّا يجعلها أداة اللغة الضرورية لمنح النص الشعري دفقه الخاص، «يستطيع المؤلف باستخدامها أن يحقق ملامح التضاد، والتناسب في النص، مستثيراً عالماً خيالياً جديداً»⁽²⁾. وتُسهم التجربة الشعرية مساهمة فاعلة في صياغة الصورة الفنية، بوصفها «تركيبية وجدانية، تنتمي في جوهرها إلى عالم الوجدان أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع»⁽³⁾. وتتولد الصورة المكانية من تداخل عناصر إبداعية مختلفة، تتجاوز الفاعلية الشعرية إلى نبض وجداني، يصهر اللغة الشعرية في علاقات جديدة، تجعل الشاعر يعبر «عن فاعلية معينة، تقوم بين ذاته والعالم، فيجلو أبعاده كما تحسّها الذات،

(1) جاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط1، دار الجاحظ، بغداد، 1980م، ص245.

(2) 33 - صلاح فضل: علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، ط1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985م، ص156.

(3) عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر (قضايا وظواهره الفنية والمعنوية)، ص127.

وكما تعيشها في إطار نفسي - ثقافي - اجتماعي معين»⁽¹⁾.

ولعلّ هذه الفاعلية المكانية، تمنح الصورة الشعرية عنصراً جمالياً واضحاً، يتغلغل في أعماق المكان، ويخترق الذاكرة؛ لتمتزج بأحلام الطفولة، وألفة المكان، لذلك فإن الصورة الشعرية «لا تخضع لاندفاع داخلي، وليست صدى لماضي، بل على العكس: فمن خلال توهج الصور يتردد الماضي البعيد بالأصدقاء، ويصعب علينا معرفة على أي عمق سوف يتم رجوع هذه الأصدقاء وانتهائها»⁽²⁾.

ولعلّ التعلّق بالمُنجز الهاشمي جعل الشعر يبعث المكان بأبعاد سياسية قادرة على رسم الواقع، ومنحه دفقاً حياتياً، يشعّ برسالة الهاشميين الخالدة، وقيمهم النبيلة في إشاعة قيم العدل والسلام، كما في تغني باسل معابرة بمعشوقته عمّان، حيث يقول مبرزاً أبعاد المكان الإيجابية، وما تبعثه في النفس من نغم حبّ خالد⁽³⁾:

آه ما أبهى عمّان

حين تردد مع الحسين

ألحانَ الخلود

وحين تزهو في مواكب

السلام

وحين ترخي جدائلها

حمائمًا ترفّ على

(1) يمنى العيد: الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومنطقي في لبنان، ط2، دار الفارابي، بيروت، 1988م، ص159.

(2) باشلار: جماليات المكان، ص19.

(3) باسل معابرة: للحسين أكتب، ط1، دار المركز الجامعي للنشر، 1995م، ص50.

رغدان

وأكاليل غار تزين جبهة

بسمان

ولا يُخفي حيدر محمود رغبته في اكتناه عبق المكان، وإبراز جمالياته الروحية، وما تحتفظ به للهاشميين من حبّ جامع، ووفاء للعهد، حيث يقول في ذكرى المولد النبوي الشريف⁽¹⁾:

إنّه «المصطفى».. وهذا صباحٌ

«هاشميٌّ».. تزهو به عمّان

وتُباهي، ومن سواها يُباهي

بالهدى، وهي للهدى عنوانُ؟!

وله في جبينها، كرمٌ زيتون..

وفي صدرها له بستانُ

إذ زاد الحضور الهاشمي مدينة عمّان ألقاً وتميّزاً بين مدن العالم؛ لذلك لا عجب أن تشرق عمّان هداية وأملاً في ذكرى المولد النبوي الشريف الذي ينبض بعظمة رسالة الهاشميين منذ فجر التاريخ.

وتزداد عمّان تألقاً برؤى ملكها الشاب عبد الله الثاني ابن الحسين، وما يبعثه فيها من روح الحضارة، وما تستمدّه منه من كبرياء وصمود، تواجهه به فعل الزمن، وتكالب الأحداث، مما يُبرز أهمية الحضور الهاشمي في توجيه المكان، وإمداده بما

(1) حيدر محمود: عمّان تبدأ بالعين، ط 1، منشورات أمانة عمّان الكبرى، ص 6.

يحتاجه من انبعاث متجدد، كما في خطاب خالد فوزي عبده لمدينة عمّان⁽¹⁾:

كفّاكِ نُبْلًا مَلِيكَ سَاهِرٌ يَظُّ
يُمْلِي فَيَمْتَلُ التَّارِيخُ وَالزَّمَنُ
يُقَارِعُ الدَّهْرَ فِي صَبْرٍ وَفِي جَلَدٍ
حَتَّى تَلِينَ خَطُوبٌ كُلُّهَا حُرُنُ
مَا زَمَجَرَتْ مَحَنَةً إِلَّا وَهَبَّ لَهَا
مَنَافِحًا، وَهُوَ مِثْلُ الطَّوْدِ مُتَزَنُ

ويزداد توهج عمّان في ذكرى انطلاقة الثورة العربية الكبرى، بوصفها بؤرة إشعاع، وحمى هاشمي منيع، موئل العرب، وحاضنة أحلام أحرار الأمة، لذلك جاء التشكيل الفني لعمان متفرداً بصور ذات معنى خاص لا يكون إلا معشوقة استثنائية ما زالت تحتفظ بالحب لعشاقها، كما في قول سعيد يعقوب⁽²⁾:

لَمْ تَكُنْ عَمَّانُ فِي ذَاكَ الْمَسَاءِ
غَيْرَ شِعْرِ فِي شِفَاهِ الشُّعْرَاءِ
وَخَدِيدًا مِنْ رَحِيْقٍ مُجْتَبَى
كَوُثْرِي الثَّغْرِ مِسْكِي الرِّدَاءِ

(1) خالد فوزي عبده: شموع لا تنطفئ، ط1، دار النهضة للنشر، عمّان، 1993م، ص124.

(2) سعيد يعقوب، نسيمات أردنية، ص147-148.

لَمْ تَكُنْ عَمَّانُ إِلَّا حُلْمًا
 طَافَ مَا بَيْنَ جُفُونِ الْأَنْفِيَاءِ
 بُرْعَمًا لِلْوَرْدِ فِي رَوْضَتِهِ
 وَاعْدًا بِالْحُبِّ يُرْنُو فِي حَيَاءِ
 تَتَنَّى فِي عَبَاءَاتِ الْحَالِ
 وَتَهَادَى فِي بُرُودِ الْكِبَرِيَاءِ
 طَلَّةٌ كَالْفَجْرِ دَفَّاقَ السَّانَا
 وَجَبَيْنُ طَالِ أَعْنَانَ السَّمَاءِ

والقارئ لشعر محمود التل يدرك ببساطة تشكّل الخطاب العراري في شعره،
 فعرار أحد مرجعيات الكتابة الإبداعية له، بل إنّه ينبوع إبداع متفجّر في شعره، ينهل
 منه كلما شاغلته فكرة، أو اشتدّت به معاناة الحياة، وهو ملهم وطني، وصاحب
 تجربة وطنية خصبة في وقت مهم من تاريخ النضال الوطني ضد المستعمر الأجنبي،
 حذر باستمرار من سوء عاقبة الواقع، والاستكانة للقوى الأجنبية، لذلك نجد
 محمود التل يسير على هذا النهج النضالي، حيث يقول⁽¹⁾:

إنّ الشعوب إذا لم تبق ثائرة
 لا بدّ أن تنتهي يومها وتنتحرُ

(1) محمود فضيل التل: صحو الطوفان، ط1، دار الينابيع، عمّان، 2002م، ص12.

إذا استكانت لخوفٍ أو بلا أمل
لا تسطع الشمس فيها لأيامها الأخرُ
يا أُمّة من دم الأطفال ثورتها
هل الكرامة في الأطفال تنحصرُ؟!
فالاحـتـلال إذا شـئتم نـذلـه
منـا ومن حـجرِ الأطفـال ينـدحـرُ

ويجعل حيدر محمود من الشريف الحسين بن علي - طيب الله ثراه - شمسًا
تضيء ما حولها، تختزل الفضاءات، وتبعث الرؤى في الآخرين، لتمنح الثورة العربية
الكبرى استمراريتها، وامتدادها في الأجيال اللاحقة لها، كما في قصيدة «الراية
الهاشمية» التي يقول فيها⁽¹⁾:

و«الشريف الحُسَيْنُ» يُشرقُ شمسًا
والنشامى على ظهور الجيادِ
في عيون الأبناء، والأحفادِ
وُلدوا، والأكفُ فوق الزنادِ
هي أمّ الرايات: أعطتُ، وتُعطي
بالدّمَا يفتدون هذا الحمى الغالي

(1) حيدر محمود، قصيدة الراية الهاشمية، جريدة الدستور، الأردن، الخميس، 18 / حزيران،

لذلك فإن المكان الأردني لم يكن بعيداً عن رؤى الهاشميين الخيرة، وعطائهم المستمر، ممّا جعل الموقف الشعري منه متصلاً بما حققه الهاشميون منذ تأسيس الإمارة وحتى وقتنا المعاصر، يقف فيه الشعراء بإجلال أمام حركة تغيّر زمني، ونهوض عمراني، واستشراف فكري حالم، أضفى على المكان رونقاً خاصاً، وزاد من انفتاحه على الذات الشعريّة، الباحثة عن الاستقرار.

الخاتمة

لقد جاءت الدراسة في أثر الثورة العربية الكبرى في الشعر الأردني، وليس البحث في صدى هذه الثورة؛ لأن الصدى يكون في القصائد التي قيلت في الثورة لكن الأثر يعاين التأثير في المضامين والبناء الفني للشعر في الأردن بشكل عام بوصفه إحدى منجزات الثورة العربية الكبرى.

يُلاحظ أن أثر الثورة العربية الكبرى في الشعر الأردني حفظ للقصيدة رؤيتها القومية ووجهها العروبي، ومن الناحية الفنية فإن الثورة العربية ظهرت بشكل واضح في القصائد العمودية مما يُعزز أثر هذه الثورة في المحافظة على النهج أو البناء التقليدي للقصيدة في الأردن فضلاً عن هذا الأثر ووضوحه في الأخيلة والصور والألفاظ.

إذ أمدّت الثورة العربية الكبرى الحركة الشعرية في الأردن بطاقة إبداعية متجددة؛ فهي إحدى ملامح نضوج الفكر القومي وتطوره لدى الشعراء، إذ عملت على إثراء وجدان الشعراء بالصور والأبنية اللغوية ذات الطبيعة المتقدمة، وإمدادها بموضوعات جديدة، عبّروا فيها عن فرحتهم بقيام هذه الثورة، ورغبتهم في استمرارها في الأجيال القادمة، كما في أشعار فؤاد الخطيب، وعبد المنعم الرفاعي، وحسني فريز، وإبراهيم المبيضين، وحيدر محمود، وغيرهم من الشعراء الملتزمين بقضايا أمتهم.

لعلّ صورة الوطن أكثر سطوعاً في معظم الدواوين الشعرية؛ إذ حملت أبعاداً فكرية غنية بإيحاءاتها الفنية، وتحولاتها المستمرة التي جعلت الخطاب الشعري يتشكّل في ظلّ ثنائية واضحة، تقوم على الغياب والحضور معاً، بما تحمله من ثراء وجداني، وتنوع أسلوب، أخصب شعريّة النص، وأمدّه بقدرات تأويلية كبيرة، تحتفظ للوطن بألقه الساكن في الأعماق.

أمّا فلسطين بمأساتها الشاهدة على احتلال جائم على صدرها، فإنّ وهجها أمد الشعر في الأردن عنفواناً واضحاً؛ فهي حاضرة في عقول الشعراء ووجدانهم، لا يكاد يخلو ديوان شعري من تصوير لمعاناة الفلسطينيين في ظل الاحتلال الإسرائيلي، ومن دعوة صريحة لتحريرها من قيود الظلم والاستبداد منطلقين في ذلك من عاطفة دينية توحد المسلمين، ومن إرث قومي واضح، شكلت الثورة العربية الكبرى نبراسه، ووهجه المستمر.

إنّ أثر الثورة العربية الكبرى في الشعر يتجاوز التصوير والصياغة اللغوية إلى محاولة التغيير والبعث، فهو شعر يرصد الواقع ويتنبأ بالمستقبل، ويتغنّى بالبطولة ويُعَلّي من فعل الإنجاز والبناء، يسمو بالتضحية، وينشد الوحدة والاستقرار.

لقد أغنت الثورة العربية الجانب العاطفي الانفعالي عند الشعراء، لذلك اتسمت لغة الشعراء بالعنفوان، والخطابية أحياناً؛ لدعوتها إلى الحرية وميلها للإقناع دون مهادنة، وإلى الثورة دون الركون للواقع.

إنّ الثورة العربية الكبرى بأحداثها العظيمة، ومورثها الفكري الخصب

أغنت حركة الشعر في الأردن بمضامين شعريّة ذات طبيعة تحريريّة، انعكست على مستوى البناء الفني للنص الشعري، لذلك نهل الشعراء من معجم الثورة العربية الخالد ما أعانهم على التعبير عن أفكارهم الوطنية الملتهبة، ممّا جعل اختيار الألفاظ الجزلة المتينة جزءاً من حركة إحياء واضحة تمنح الأمة إحساساً قوياً بشخصيتها القومية، ويقيناً راسخاً بأصالتها وقدرتها على المقاومة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الدواوين والمجموعات الشعرية.
- 1. إبراهيم نصر الله: الأعمال الشعرية، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس، عمّان، 1994 م.
- 2. إبراهيم نصر الله، جسدي كان الغربال، د- ط، مكتبة الشباب ومطبعتها، عمّان، د.ت.
- 3. باسل معاصرة: للحسين أكتب، ط1، دار المركز الجامعي للنشر، 1995 م.
- 4. جميل علوش، جراح ودماء، ط1، بلا مكان، 1985 م.
- 5. حبيب الزيودي، ناي الراعي، ط1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2002 م.
- 6. حسن المبيضين، وفوزي الخطبا: إبراهيم المبيضين حياته وشعره، ط1، مطابع الإيمان، عمّان.
- 7. حسني فريز، الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، منشورات أمانة عمان الكبرى، إعداد: راشد عيسى ومعاذ الحيارى، 2002 م.
- 8. حيدر محمود: الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، مكتبة عمان، د-ت.
- 9. حيدر محمود: الجبل، ط1، جريدة الهلال، مطابع الدستور، عمان، 2001 م.

10. حيدر محمود، عباءات الفرح الأخضر (قصائد في آل البيت)، ط1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2007م.
11. حيدر محمود، عمان تبدأ بالعين، ط1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2004م.
12. حيدر محمود، قصيدة الراية الهاشمية، جريدة الدستور، الأردن، الخميس، 18/ حزيران، 2015م.
13. حيدر محمود، القصيدة المؤابية، صحيفة الدستور، 23/ كانون الأول، 2006م.
14. حيدر محمود: مجلة أفكار، العدد 64، 1983م، قصيدة رسالة إلى الحسين بن علي.
15. خالد الساكت، المخاض، ط1، بلا مكان، 1987م.
16. خالد فوزي عبده: شموع لا تنطفئ، ط1، دار النهضة للنشر، عمان، 1993م.
17. خالد فوزي عبده: علامات على الطريق، ط1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2003م.
18. خالد فوزي عبده: نفحات أردنية، ط1، دار الكرمل، عمان، 2002م.
19. خالد محادين، الأعمال الشعرية، د- ط، منشورات مكتبة عمان، د- ت.
20. سحبان خليفات: رفعت الصليبي، قصائد ومقالات (1916 - 1952)، دراسة وتحقيق، ط2، دار الجيل العربي للنشر والتوزيع، عمان، 2002م.
21. سعيد يعقوب، أعلاق، ط1، منشورات أمانة عمان الكبرى، 2014م.

22. سعيد يعقوب، ديوان رعود وورود، ط 1، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، 2012م.
23. سعيد يعقوب، الدر الثمين من نفحات الهاشميين، ط 1، مطبعة النور النموذجية، عمّان، 2007م.
24. سعيد يعقوب، نسّمات أردنية، ط 1، أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، عمّان، 2015م.
25. سيف الدين زيد الكيلاني: خلجات قلب، ط 1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمّان، د-ت.
26. عائشة الرازم: الأعمال الشعرية الكاملة، ط 1، دار الخواجا للنشر، عمّان، 1988م.
27. عاهد المشاقبة: مرثاة الحسين، ط 1، بلا مكان، د-ت.
28. عبد الرحيم عمر: الأعمال الشعرية الكاملة، د - ط، منشورات مكتبة عمّان، د-ت.
29. عبدالله الأول ابن الحسين، خواطر النسيم (شعر الملك عبدالله الأول ابن الحسين)، جمع وتحقيق ودراسة خلف النوافلة، ط 1، الجزء الأول، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، 2002م.
30. عبدالمنعم الرفاعي، شعر عبدالمنعم الرفاعي، جمعه وحققه وقدم له الدكتور إبراهيم الكوفحي، ط 1، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، 2003م.
31. عيسى الناعوري: أناشيد أخرى، ط 1، منشورات دائرة الثقافة والفنون، عمّان، 1983م.

32. فؤاد الخطيب، ديوان الخطيب، ط1، دار المعارف، مصر، 1959م.
33. لميس العتوم: أدبيات امرأة رافضة، ط1، دار طوباس للنشر، عمّان، 1994م.
34. محمد سمحان: أقانيم، ط1، دار الحقيقة الدولية للدراسات والأبحاث، عمّان، 2002م.
35. محمود فضيل التل، تحت جناح الليل، ط1، مطابع الدستور التجارية، 2011.
36. محمود فضيل التل: صحو الطوفان، ط1، دار ينباع، عمّان، 2002م.
37. محمود فضيل التل، وجدتك عالماً آخر، ط1، مطبعة الشرق ومكتبتها، عمّان، 1988م.
38. مصطفى السكران، ديوان مصطفى السكران (الرثاء)، تحقيق: رسلان بني ياسين، عبد العزيز شحادة، د-ط، بلا مكان، د-ت.
39. مصطفى وهبي التل: عشيات وادي اليابس، جمع وتحقيق زياد الزعبي، ط3، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، 1982م.
40. نايف أبو عبيد: نشيج القوافي، ط1، دار الكرمل، عمّان، 2001م.
41. نديم الملاح، الديوان، ط1، دائرة الثقافة والشباب، عمان، 1984م.
42. نجيب القسوس، أغنية الفجر، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، 1990م.
43. يوسف العظم: الأعمال الشعرية الكاملة، ط1، دار الضياء، عمّان، 2003م.

• المصادر والمراجع الحديثة.

1. إبراهيم الشريقي، الثورة العربية الكبرى (دوافعها وحصادها والأحداث التي مرّ بها المشرق العربي، ط1، مؤسسة الدراسات الدولية، لندن، 1984 م.
2. أحمد أبو حاقّة، الالتزام في الشعر العربي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979 م.
3. أحمد الحوفي: القوميّة العربيّة في الشعر الحديث، ط1، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت.
4. أحمد عطية الله، القاموس السياسي، ط3، دار النهضة، القاهرة، 1968 م.
5. أحمد محمد عطية: البطل الثوري في الرواية العربية الحديثة، ط1، وزارة الثقافة والإرشاد السوري، دمشق، 1977 م.
6. أحمد مختار عمر، اللغة واللون، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1997 م.
7. أحمد المصلح، ناصر الدين الأسد ناقداً وشاعراً، ط1، وزارة الثقافة، عمّان، 2002 م، ص 103.
8. أسامة يوسف شهاب، الاتجاه الإسلامي في نهضة الشريف الهاشمي (دراسة في الفكر السياسي للثورة العربية الكبرى وثائق ونصوص وأسانيذ)، ط1، مركز اللغات، عمّان، 1995 م.
9. أسامة يوسف شهاب: صحيفة الجزيرة الأردنية (دورها في الحركة الأدبية)، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1988 م.

10. امتنان الصمادي، شعر فؤاد الخطيب في الثورة العربية الكبرى والهاشميين (جمع ودراسة)، ط 1، منشورات وزارة الثقافة، مكتبة الأسرة، 2010م.
11. أيمن تعيلب، قصيدة الثورة في الخطاب الشعري المعاصر (جدل الشعر والسلطة)، ط 1، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، 2011م.
12. بريندا دين شيلدجن وآخرون، عصور نهضة أخرى (مدخل جديد إلى الأدب العالمي)، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أكتوبر، العدد 417، 2014م.
13. بكر خازر المجالي، المسارات العسكرية للثورة العربية الكبرى في الأرض الأردنية (دراسة ميدانية وثائقية) ط 1، 2003م، إصدارات جامعة الحسين بن طلال، معان.
14. تركي المغيـض، الحركة الشعريّة في بلاط الملك عبد الله بن الحسين (1921 - 1948م)، ط 1، وزارة الثقافة والشباب، عمان، 1980م.
15. تركي المغيـض، صدى الثورة العربية الكبرى في الشعر، ط 1، منشورات وزارة الشباب، عمّان، 1989م، تقديم الدكتور عوض خليفات.
16. جاستون باشلار: جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط 1، دار الجاحظ، بغداد، 1980م.
17. جبر الخطيب، العروبة والإسلام في خطاب الحسين بن علي، ط 1، منشورات إربد مدينة الثقافة الأردنية 2007م.
18. جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ط 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

19. جليل كمال الدين: دراسات أدبية، ط1، المكتبة العالمية، بغداد، 1985م.
20. حكمت عبد الكريم فريحات، الثورة العربية الكبرى وقضايا العرب المعاصرة، ط1، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمّان، 1990م، ص211.
21. خلف النوافلة: خواطر النسيم (شعر الملك عبد الله الأول بن الحسين)، جمع وتحقيق، ج1، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 2002م.
22. زهير عبيدات: صورة المدينة في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الكندي، إربد، 2006م.
23. زياد الزعبي: أثر عرار في شعرنا المعاصر، مجلة أفكار، وزارة الثقافة، عمّان، العددان (89 - 90)، 1989م.
24. زياد الزعبي: قراءات (مقالات ونصوص ثقافية)، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، 2002م.
25. زياد الزعبي وآخرون: مصطفى وهبي التل (قراءة جديدة) ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، بحث للدكتور محمد حور، بعنوان «الصوت والصدى عرار في عيون الشعراء» 2002م.
26. ساطع الحصري، آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1984م.
27. سمير قطامي: الحركة الأدبية في شرقي الأردن (1921 - 1948م)، ط1، منشورات وزارة الثقافة، عمان، 1981م.

28. سمير قطامي: الحركة الأدبية في شرقي الأردن (1948 - 1967م)، ط1، منشورات وزارة الثقافة والتراث القومي، عمّان، 1989م.
29. سمير قطامي، الشعر في الأردن، ط1، منشورات لجنة تاريخ الأردن، (19)، 1993م.
30. سمير قطامي وآخرون، الشعر في الأردن (وموقعه من حركة الشعر العربي) أوراق ملتقى عمّان الثقافي الخامس، منشورات وزارة الثقافة، عمان، بحث بعنوان الهم الوطني في الشعر الأردني (نقيض التجربة) للدكتور سليمان الأزاعي.
31. سليمان موسى، إمارة شرقي الأردن، (نشأتها وتطورها في ربع قرن 1921 - 1946)، ط1، منشورات لجنة تاريخ الأردن، عمان، 1990م.
32. سليمان موسى، الثورة العربية الكبرى (وثائق وأسانيد)، ط1، دائرة الثقافة والفنون، عمّان، 1966م.
33. سليمان موسى، من تاريخنا الحديث (الثورة العربية الكبرى)، ط1، مشروع مكتبة الأسرة، وزارة الثقافة، 2007م.
34. سليمان الأزاعي: الشاعر القتييل تيسير سبول، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1983م.
35. سهيلة الريمائي، الاتجاهات الفكرية للثورة العربية الكبرى من خلال جريدة القبلة، ط1، منشورات لجنة تاريخ الأردن، 1992م.
36. صالح الأشتر، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، ط1، مطبعة جامعة دمشق، 1961م.

37. صلاح فضل: علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته)، ط 1، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1985 م.
38. طلعت أبو العزم، الرؤية الرومانسية للمصير الإنساني لدى الشاعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1981 م.
39. عبدالقادر الرباعي، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، ط 1، منشورات جامعة اليرموك، إربد، 1980 م.
40. عبد القادر أبو شريفة وآخرون، الشعر الحديث في الأردن ونقده (أوراق الملتقى الثقافي الأول، جامعة آل البيت - وزارة الثقافة)، ط 1، منشورات جامعة آل البيت، 1997 م، بحث لإبراهيم خليل بعنوان حركة الشعر الحديث في الأردن.
41. عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، ط 7، دار الفكر العربي، بيروت، 1978 م.
42. عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، ط 4، مكتبة غريب، القاهرة، ط 1.
43. عز الدين إسماعيل، الشعر بين الثورة والالتزام، بحث في كتاب الشعر والثورة، ط 1، منشورات وزارة الإعلام العراقية، 1975 م.
44. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر (قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية).
45. العماد مصطفى طلاس، الثورة العربية الكبرى، ط 1، منشورات مجلة الفكر العسكري، دمشق، 1978 م.

46. عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ط4، دار المشرق العربي، بيروت، 1985م.
47. عمر الدقاق، نقد الشعر القومي، ط1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1978م.
48. علي جواد الطاهر، مقدمة في النقد الأدبي، ط1، دار المعارف، القاهرة، د-ت.
49. علي محافظة، تاريخ الأردن المعاصر (1921 - 1946م) ط2، مركز الكتاب الأردني، عمّان، 1989م.
50. عيسى الناعوري: الحركة الشعرية في الضفة الشرقية من المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، منشورات وزارة الثقافة والشباب، عمّان، 1980م.
51. فؤاد رفقة، الشعر والموت، د-ط، دار النهار للنشر، بيروت، 1973م.
52. فواز طوقان: الحركة الشعرية في الأردن حتى عام 1977م، منشورات شقير وعكشة، عمّان، 1985م.
53. قاسم الدروع وآخرون، أدبيات معركة الكرامة، منشورات وزارة الثقافة، عمّان، 1993م.
54. كامل السوافيري، الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين من سنة 1917م إلى 1955م، ط1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1963م.
55. لاسل كرمبي، قواعد النقد الأدبي، ترجمة محمد عوض محمد، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986م.
56. اليزابت درو، الشعر كيف نفهمه ونتذوقه، ترجمة محمد إبراهيم الشوش، د-ط، مكتبة منيمنة، بيروت، 1961م.

57. محمد حوّر: بكاء رمز (جمال عبد الناصر في مراثي الشعراء)، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1997م.
58. محمد عطيات وآخرون: الشعر في الأردن وموقعه من حركة الشعر العربي (أوراق ملتقى عمّان الثقافي الخامس) ط1، وزارة الثقافة، عمّان، 2001م، بحث لطارق المجالي بعنوان: «الهم القومي في القصيدة الأردنية المعاصرة من 1967 - 1991م».
59. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، ط1، دار العودة، بيروت، 1982م.
60. محمد يونس العبادي، (جمع وتحريّر) القبلّة «جريدة دينية سياسية اجتماعية تصدر مرتين في الأسبوع لخدمة الإسلام والعرب»، المجلد الأول، الأعداد (1 - 100)، عمّان، 1997م.
61. محمود الربيعي، لغة الشعر المعاصر، مجلة فصول، العدد الرابع، يوليو، 1981م.
62. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج3، القاهرة، 1977م.
63. نازك الملائكة، الشاعر واللغة، مجلة الآداب، العدد العاشر، أكتوبر، 1971م، السنة التاسعة عشرة.
64. نايف النوايسة: فلسطين في الشعر الأردني، ط1، دار مجدلاوي لنشر والتوزيع، عمّان، 2002م.
65. نيقولا زيادة وآخرون، دراسات في الثورة العربية الكبرى، ط1، الشركة الأردنية العالمية للنشر والتوزيع، عمّان، د - ت، مقالة للدكتور نبيه أمين فارس، بعنوان «الثورة العربية الكبرى في الميزان».

66. هنادي يوسف غوانمة، المملكة الهاشمية الحجازية (1910-1925م)، ط1، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمّان، 1989م.
67. وائل بن طريف: رثاء الحسين في قلوب الشعراء، ط1، بلا مكان.
68. يمنى العيد: الدلالة الاجتماعية لحركة الأدب الرومنطقي في لبنان، ط2، دار الفارابي، بيروت، 1988م.

د. عماد الضمور

وُلد عماد عبد الوهاب الضمور يوم 1971 / 12 / 21 في الكرك، أنهى الثانوية العامة/ الفرع الأدبي في مدرسة الأمير الحسن الثانوية للبنين بالكرك سنة 1989، ثم درّس في جامعة مؤتة فحصل منها على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها (1993)، وشهادة الماجستير في الشعر والنقد الحديث (1997)، وشهادة الدكتوراه في الدراسات الأدبية (2005).

عمل مدرّساً في وزارة التربية والتعليم (1993-2006)، ثم في جامعة البلقاء التطبيقية منذ سنة 2006.

أعماله الأدبية:

- «محمود فضيل التل.. حياته وشعره»، نقد، مطبعة كنعان، إربد، 2001.
- «ظاهرة الرثاء في القصيدة الأردنية»، نقد، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2005.
- «فضاءات نصّية»، نقد، دار الكتاب الثقافي، إربد، 2005.
- «عمّان.. وهج المكان وبوح الذاكرة»، نقد، أمانة عمّان الكبرى، عمّان، 2006.
- «آفاق نقدية»، نقد، دار يافا العلمية، عمّان، 2008.
- «المراثي.. دراسة في شعر محمود الشلبي»، نقد، أمانة عمّان الكبرى، عمّان، 2008.
- «مرايا النص»، نقد، وزارة الثقافة، عمّان، 2009.
- «عمّان في شعر عبد الله رضوان»، نقد، دار ورد الأردنية، عمّان، 2009.
- «الإبداع المكاني في الشعر الأردني»، نقد، أمانة عمّان الكبرى، عمّان، 2011.

جدول المحتويات

7	مقدمة
11	تمهيد الثورة العربية الكبرى.. الأهداف والمنطلقات
الفصل الأول	
23	الحركة الشعرية في الأردن (1921 - 1946 م).. الجذور والامتداد
الفصل الثاني	
39	الدراسة الموضوعية.. أثر الثورة العربية الكبرى في مضامين القصيدة الشعرية....
الفصل الثالث	
108	الدراسة الفنية.. أثر الثورة العربية الكبرى في بناء النص الشعري
134	الخاتمة
138	المصادر والمراجع
149	د. عماد الضمور

